سميره ارميا

سلسلة مفاتيح

صديقتى تسعة

الجزء الثالث

ملكة فى مفترق طرق

رواية

صدرت الطبعة الأولى فى مارس 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	سلسلة مفاتيح- صديقتى تسعة – الجزء الثالث - ملكة فى مفترق طرق
المؤلف	سميره ارميا
التصنيف	رواية
رقم الإيداع القانونى	22849 – 2019
عدد الصفحات	138صفحة
رقم الإصدار الداخلى	302 الطبعة الأولى مارس 2019
المقاس	20X14
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشـــر طبع ونشر وتوزيع الكتاب الا بموافقة كتابية وموثقة من المـــؤلـــف

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي
رئيس مجلس الإدارة
ناجى عبد المنعم
مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017
رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901
النيل والفرات nagyegy200064@gmail.com
alnilwaalfourat alnilwaalfourat@gmail.com
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

الباب الأول

الفصل الأول

الجذور

مختارة طفلة ولدت ببيت ريفيّ بقرية مصرية (لأم تعمل بالحياكة) في ليلة ممطرة و ظنت القابلة إنها ميتة فلفتها في قطعة من الصوف السميك و وضعتها بجوار الحائط و نسيتها لسوء حالة الوالدة . تصادف وجود فاخوري رئيس البنائين بالمكان، فبعد ما نقلوا الوالدة من الحجرة في محاولة لإسعافها ، إنتقل فاخوري من حجرة الضيافة إلى الحجرة التي كانت بها الوالدة فأحس بوليد يهفو إلى الحياة فأخذها و فحصها ؛ فإذ هي بنت و مازالت على قيد الحياة فحممها و قمطقتها و أنقذها من الموت واسماها مختارة و صارت الطفلة له خليلة و عهد إليها بسره ؛ لأنه كان مالك مفاتيح كنوز مصر القديمة.

كان يأخذها تحت شجرة الصفصاف عند الساقية الكبيرة ليتجاذبا أطراف الحديث ، فكان يعلمها و يضع فيها مفاهيم الحياة النقية ، و يعدها لتفتح بابا كبير به سيعم الخير على جميع ربوع مصر، و وهبها إيضا معرفة أبواب الكنوز ، فكانت تشير إلى الأبواب دون أن تدري إلى ماذا تشير.

تلك الموهبة ستزول لو امتلكت مختارة أي شئ من تلك الكنوز . لابد أن تعيش فقيرة معوزة .

عندما أتمت مختارة الخامسة من عمرها ترك فاخوري القرية و عاد إلى مدينته مدينة القاهرة .

أما الفتاة فأصيبت بالحمي الروماتزمية و قيل أنها أثرت على عضلة القلب . و بعدما أنهت رحلتها مع الأطباء بالقاهرة رجعت للقرية ، و كانت كل يوم تنتظر فاخوري تحت شجرة الصفصاف عند الساقية الكبيرة. لكن فاخوري أعطاها أدوية تنسيها تدرجيا دوره في حياتها حين تركها. وعندما كانت تذهب لشجرة الصفصاف لم تجد إلا أبيها إبراهيم(عمها).. الذي أخذ دور فاخوري أخر مرة كلمت فيها فاخوري كان في حلم ، قامت من النوم و هي تحت شجرة الصفصاف على صدى صوت فاخوري لتجد أبيها (إبراهيم) بجانبها يغطيها. و يهتم بها ، كانت تنظر يمينا و يسارا كأنها تبحث عنه.. أبيها (إبراهيم) يشفق عليها، و بدأت رحلة علاج في عدة مدن مصرية..

الفصل الثاني

الطبيب

عادت أم رأفت بالطفلة مختارة من القاهرة بعد أن جالت في محافظتي القاهرة والجيزة وذهبت لجموع من الأطباء في المطرية وشبرا مصر وشبرا الخيمة وأمبابة ومصر الجديدة والجيزة ومدينة نصر و الهرم والمهندسين ... وصارت تنتقل من مدينة إلى مدينة حتي وصل عدد الأطباء إلى سبعة وعشرين طبيبا.
عادت إلى القرية ومعها كافة التذاكر الطبية وتقريبا بها تطابق في الوصفة الطبية ومع ذلك العم الكبير إبراهيم غير مقتنع؛ فأخذ مختارة واتجه إلى مدينة الزقازيق فأكد طبيب الزقازيق على تشخيص أطباء القاهرة ثم عاد وذهب إلى طبيب في مدينة فاقوس فلم يختلف تشخيصه عن الباقين
أطمأن قلب إبراهيم وقال أن القاهرة هي سيدة المدن.
وفي طريق العودة من فاقوس حينما نزلوا من الحافلة كان عليه العودة مشيا على الأقدام لمسافة كبيرة حتي يعود للقرية .. كان يخشي علي مختارة من إجهاد الطريق فحملها على كتفه وأعطاها وشاحا لتغطي رأسها من وهج الشمس..
و لم يبالي بصوت أم رأفت.. أنزلها يا أبي إبراهيم من على كتفك أنت مريض . ولما مل من تكرار كلام أم رأفت
أجابها : لا يهم الطريق طويل عليها وهي ضعيفة.

وجاء دور عطا ... خال مختارة في تقديم المساندة والمساعدة ..
ما سمع عن طبيب متخصص ألا وذهب إليه بها
كل شهر زيارة وزيارتين للأطباء والتشخيص واحد لا تغير فيه

بدءا من طبيب في مدينة الصالحية ، ثم مدينة الحسينية ثم إلى الوحدة المحلية بأحدى القرى المجاورة ، ثم إلى مدينة السماكين ثم مدينة القصاصين
ثم إلى مدينة الإسماعيلية .
ومنها إلى مدينة بورسعيد و مدينة رشيد ومدينة دمياط
ومنها إلى مدينة المنصورة
ثم نزل بها إلى محافظة المنوفية
منها إلى قليوب.
وكل طبيب تدخل إليه يهتم بها اهتمام بالغ هو وطاقم التمريض خاصته
كان طاقم التمريض حينما يراها مجهدة يدخلها أولا وليس حسب ميعادها في كشف المرضي..
ولم يكن أحد يأخذ مليما. كانت الرحمة في قلوب ملائكة الرحمة . حقا كانوا ملائكة رحمة والطب كان رسالة والأطباء كانوا نعم الحاملين للرسالة .
ومن كثرة تجول عطا بمختارة فكرت أم رأفت بزيارة بيت أخيها والأقامة عنده لكنه رفض وقال كل شهر لها زيارة معي لأحد الأطباء أو حسبما يسمح وقتي.
أنتهت رحلة مختارة مع الأطباء وقد جمعت أم رأفت كنز من (الكلف والحلي) الخاصة بالملابس - أنها حائكة - جمعتها من كل المناطق فحينما تذهب للطبيب مع ابنتها بأصطحاب أخيها عطا ، كان عطا يعطيها نقود كي تتفقد محلات الأقمشة مع رأفت ابنها ويأخذ هو مختارة للتنزه .. ويعود كل مرة ومختارة في غاية التعب ويسلمها إلى رأفت فيحملها دائما طوال طريق العودة. هذا الكنز زاد من صيت أم رأفت فكانت لا تكاد تكمل أسبوعا ببيتها بسبب تجهيز الأعراس...

الفصل الثالث

إلى بيت خالي

أم رأفت تفكر في التقاعد لكن أحوال العزبة التي تملكها العائلة تتدهور يوم بعد يوم .. وتتدهور معها أحوال العائلة.
وجاء دورها لتسافر عند أخيها بإحدى ضواحي القاهرة.. لخدمة أبناءها الذين يكفلهم أخيها عطا ؛ حيث أنهما طالبان بجامعة القاهرة ويقيمان عند خالهما ... وجاء عطا ليأخذها هي ومختارة كي تكون بجوار أبنيها فترة الامتحانات.

اجتمع عطا وفتحالله وفتحي في أحد المدافن القديمة المهجورة و المشهورة بظهور "العفاريت" المكان واسع جداً والمدافن كثيرة ومهدمة وحولها حدائق الليمون من كل جهه... يفوح من المدافن رائحة الأموات التي تدعو للغثيان إذا جلست . أما إذا وقفت تشم رائحة الليمون المنعشة ، تنظر لأعلي فتري جمال الربيع وزهور الليمون البيضاء تقف بثبات بجانب الوريقات الجديدات اللامعات... الأشجار كلها تلمع كأنها توا خرجت حميم أعراس..

وتحت الأزهار ربما تلمح الشوك الغليظ وأسفل قدميك تري القبح كله.. المدافن وسط خمائل الليمون ولها أربعة طرق للوصول إليها : أرض رطبة صيفا وشتاء ؛ لذلك هجرها الناس، كلما جاء الناس لدفن الموتي يجدون الجثث كما هي لم تتحلل، ربما جثة كاملة تم تشريحها و ربما نصف جثة و ربما جزء .. وهناك العديد من الجثث تختفي لشهور ثم تظهر فجاءة...

رجال المقابر وسماسرة كليات الطب كانوا يأخذون منها ما يشاؤن و لم يستطع أحد امساك أحدهم لوحشة المكان في الليل ولرهبته
طلاب كليات الطب كانوا يأتون من كل حدب وصوب ليتشرون الجثث إذ أن صيت هذه المدافن وصل بعيدا...
و لأن للموت حرمة لا يعرفها إلا النبلاء ؛ أجتمع رجال القرى وأتفقوا على تخصيص قطعة أرض و جلعوها مدافن على طريق عام حتي تكون موتاهم أمام أبصارهم ليل نهار..
-اجتمع الرجال ...وكان الاتفاق المسبق ..
فتحي يأتي من جهة..وعطا من جهة ..و فتحالله من جهة.
عطا يأتي ليشتري أجوال من الليمون الطازج أما فتحي وفتحالله فلا داعي للحجج..
عطا رجل طويل القامة أبيض اللون وعريض المنكبين ، وفتحي قصير القامة نحيف وفتحالله وسط الاثنين ...
فتحالله : ما هذا الجمال.. يا عطا سيارة جميلة..؟!
عطا : تفضلها والحساب يجمع.
فتحالله : أتظنني مثلك ... داري على شمعتك.. اتوافقني الرأي يا فتحي..
فتحي : دعك من هذا.. نريد مختارة لتشير هل هناك مقبرة أمْ لا وأين الباب.
فتحالله : أأنت غبي ؟ لهذا السبب جاء عطا من القاهرة.
عطا : أين المقبرة ولماذا تعتقدون أن هناك مقبرة ...
فتحي : في منطقة بحر البقر ... في بيت تجتمع فيه كل العلامات البيت لا يعيش فيه طيور داجنة وتنفق الحيوانات به والأبقار الحلوبة إذا دخلت البيت ينقطع منها اللبن وأشجار الحديقة لا تثمر وتجف..

وعند الجلوس في الشتاء على الأرض تجد الأرض فيها حرارة .
عطا : ربما من بقايا من نار تدفئة أهل البيت (المنقد)
فتحي : لا ...تأكدت بنفسي .
عطا : هل توجد علامات أخرى.
فتحي: نعم ... سكان البيت يحلمون بكوابيس ويرون تقريبا في أحلامهم نفس الشخص ..
عطا: ربما الإيحاء .
فتحي : لا في الصباح يحكون نفس الحلم .
عطا: لو كنت متأكد كل هذا التأكد فيما الحاجة إلى مختارة..؟
فتحي : كم من مرة اجتمعت العلامات ولم يوجد مقبرة
عطا : حسنا سآخذها بحجة الأطمئنان عليها مثل كل مرة وأسافر مسافة كبيرة بالسيارة وبالطبع ستتعب مني سأذهب بها إلى الطبيب وأحضر الدواء كالعادة وعند الثامنة مساء التقي بكما مكان المقبرة.
فتحي : على البركة.
عطا : متي ستسافر القاهرة للرجل الكبير يا فتحي..؟
فتحي :عند التأكد من وجود مقبرة... وطريقة فتحها هل طريقة هندسية ... أمْ بأضحية ...؟
فتحالله : و إذا كانت أضحية دم مَنْ سيل هذه المرة..؟!
فتحي : أي دم. ليكن دمي أنا " طباخ السم يتذوقه".
فتحالله : يا رجل القرية كبيرة والقري المجاورة ما أكثرها والرجال هنا ينجبون بالدستة أخذُ واحد من كل عائلة ليس بالكثير..
فتحي : أهذا رأيك..؟!
فتحالله: نعم.
فتحي : استاذن منكما و على موعدنا عذاً بأذن الله.
عطا :إلى أين..؟!
فتحي : أصلي الظهر.

عطا: (باستغراب) و هل تصلي ..؟!
فتحي : نعم أتظناني مثلكما لا أخطو نحو الكنيسة ..أنا أصلي الفرض حاضر..
فتحالله : اللهم قوي إيمانك يا مؤمن..
عطا : خدني معك..
فتحي : إلى أين ..تصلي معي..؟
عطا : صلوا عليك.
فتحي : إذا صلوا على من سيأتي بطلبات فتح المقابر ..؟
عطا : لا تقلق الرجل الكبير سيدبرها .
فتحي : لكنه أعطي الأمر لي بتدبيرها هذه المرة إذا طلبت أُضحية.
عطا : و هل بحثت ودققت ..
فتحي : نعم هذه المرة ليست ككل مرة..(وينظر خلفه يتأكد أن فتحالله غير موجود) ملكة هي من ستفتح المقبرة إذا كانت ستفتح بأضحية.
عطا : ابعد عن ملكة عائلتها كبيرة و زوجها يحبها.
فتحي : ستفهم فيما بعد.
عاد عطا بالسيارة الفارهة إلى القرية وذهب لأخته ليأخذ مختارة وأخذها ومضي..
في حجرة الفرن أتت البنات الصغيرات بالوقود(قش الأرز وقش الذرة وأعواد القطن)
وإبتدات أم حنا في أشعال النار بالفرن حتي تحمّي بلاطة الفرن بالقدر المطلوب
ونادت "المصلحة يا بنت"
جاءت أم رأفت بالمصلحة أناء من النحاس وبه ماء ومعه قطعة ملابس قديمة من القطن...تبلل قطعة القماش وتعلق على سيخ من الحديد وتجففها جزئيا وتدور بها عدة مرات على بلاطة الفرن ثم

تعود بها للإناء وتغلسها وتجففها جزئيا وتكرر حتي أصبحت البلاطة نظيفة جدا.
أم حنا : أين الفتيات الصغيرات أذهبي جهزي زيارتك وأنا سأخبز لكن عندي لك كلمة أولا.
أم رأفت : هل لك طلب من أم مختار زوجة أخي عطا
أم حنا: لا فهي ترسل كافة شئ من مالها الخاص دون سؤال.. أراكِ سعيدة يا أم رأفت والفخر بعينيك.
أم رأفت : و لما لا ...أخي ومن حقي اتفاخر...
أم حنا : منذ متي وعطا يسأل عليك يا بسيطة ..؟!
أم رأفت : قد أخذ لي ولدين وعلمهم وسيزوجهم.
أم حنا : يأخذ من شبان القرية في العموم وليس وحده من يكفل الشبان و الذي يفعل الخير لا يشترط وها دورك آت لخدمة أبناءك هناك و أنت أخته ومن المفترض أن زوجته هي التي تخدمك..
أم رأفت : زوجته صاحبة مرض وستموت ...
أم حنا : في قدرته إحضار بدلا من الخادمة عشرة.
أم رأفت : "بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم"
أنا موجودة أخدم بيته شهرا عن ولديّ وباقي المنعم عليهم باقي السنة..
أم حنا : ولم الأهتمام الزائد بابنتك ..؟! حاذري ....ابنتك بها سر ...
أم رأفت : أنتِ تغارين مني..
أم حنا : قد أكون.. لكن قلبي غير مطمئن لأخيك هذا..
اليس هو ورشدي توأمان أحب رشدي و لا أحب عطا..
أم رأفت : هيا للخبيز حتي أخذ خبز طازج لزوجة أخي الحبيبة
أم حنا : حاضر
وأستدرات أم حنا بعد تصليح البلاطة ثم بسملت و بدأت الخبيز

أما أم رأفت فذهبت تعد عدتها لقضاء شهر عند أخيها الغني تمهيداً للعائلة لأعلان قرار تقاعدها.

استاذن عطا المعلم إبراهيم بأخذ مختارة لقضاء بعضا من حوائجه وفي طريقه سيوقع الكشف عليها في مدينة الحسينية حيث بها طبيبا جديدا وماهرا
أخذ عطا الطفلة و مضي .. وضعها بالكرسي الأمامي بجواره
مختارة : إلى أين يا خالي..؟!
عطا : سأقضي بعض المصالح في عدة أماكن ..
مختارة : ساكون ساكنة تماما ولن أضايقك.
عطا : (سرا : لا أعرف لماذا أكرهك إلى هذا الحد)
أبتسم وقاد السيارة برعونة فأجهدت الطفلة سريعا فأخذها لأول طبيب وقال له أكتب أي دواء..
نظر الطبيب لأناقته ووسامته وقال له
الطبيب: أأنت من هذه الناحية..؟!
عطا : (بضيق) لا.. مثلك تماما.
الطبيب: من تكون الطفلة..؟!
عطا : و لماذا تسأل؟!
الطبيب: أمانة المهنة .
عطا :عن أي أمانة تتحدث..
الطبيب : عن شرف مهنة الطب وأمانته والقسم الذي أقسمت..
عطا : في أي جامعة درست الطب ..؟!
ونظر إلى الحائط على شهادة التخرج
الطبيب: (استغراب) لماذا...؟
عطا: نعم جماعة العم لمعي..
الطبيب : نظر مشدوها... ومن أين تعرف العم لمعي..أأنت طبيب..؟!

عطا : من يستبيح حرمة الأموات ليحصل على تقدير أمتياز لا يكون عنده شرف و أمانة مهما عاش.
الطبيب: ماذا تريدني أن أكتب..؟!
عطا : بنسلين طويل المفعول. واكتب في ورقة خارجية Dormicumحبوب
كتب الطبيب وحمل عطا مختارة شبه المغمي عليها ثم خطف الورقتين من يد الطبيب ومضي.
أحضر الدواء وأعطي مختارة جرعة زائدة من البنسلين ونصف (حبة) من الدواء الآخر فمضت إلى عوالمها الأخرى..
وضعها في الكرسي الخلفي للسيارة ومضى إلى مكان الاتفاق
نزل من السيارة وحمل الطفلة وكان في انتظاره فتحي وفتحالله
البيت خالي تماما من الناس وفتحي معه الأضاءة .
عدل عطا الطفلة وحاول إفاقتها..
عطا: مختارة ..مختارة..حبيبة خالك أنظري ماذا جلبت لك .
مختارة: أين أنا ..؟!
عطا : مختارة نود أن نضع دولاب هنا ..أين نضعه..؟!
ودار في الدار كلها جميع الحجرات والأماكن
إلى أن دخلا على حجرة داخل حجرة
مختارة: رفعت يدها والضوء يمشي مع يدها ..دارت بيديها بزاوية270 درجة لم تر فتحي أو فتحالله كانا يدوران خلف عطا في الظلام أشارت على موضع الباب ونامت.. وضع فتحي العلامة وأخذ عطا الطفلة و رجع إلى سيارته ومضي بها لأخته التي أعدت العدة وتجهزت للسفر.. أخبرها أن السفر في الفجر ؛ لأن مختارة تعبة. وعاد لأصدقائه يشاركهم الفرحة وقد أتوا بشيخ ليعرفوا طلبات الفتح
الشيخ : هذه المقبر ستفتح بجنين ابن أقل من شهرين..

عطا : (بتعاطف) وكيف سيكون..؟
فتحي : هل مازال لديك بقايا ضمير..
عطا : لولا ك أنت ما وقعت في هذا الفخ .
فتحي : فخ الهنا والسرور..ومن أين صنعت مملكتك من السيارات اليس من هذا الفخ..!!
اتذكر حينما طلبت منك مختارة قلت إلا أهلي...؟!
عطا : نعم.
فتحي : ما رأيك أنها هي التي أشارت للباب يومها ..
عطا : أمسك فتحي وكاد أن يضربه لولا تدخل الشيخ و فتحالله..
فتحالله : إهدأ يا عطا و لا تحبكها.. فرد من عائلتك ليس لها لزوم وستموت على أي حال..
عطا: لو اقتربت من أي ممن لي سترى يا فتحي..
فتحي : حاضر.. لكن طباخ السم حتما سيتذوقه و لو عن غير قصد
عطا: (بعصبية زائدة وتحدي و قد احمرّ وجهه وكشر عن أنيابه) فتحييي..
فتحي : حاضر حاضر ومضي و هو يلقي التحية (يرفع يديه إلى وجهه كأنه يكبر) ويقول ..حاضر، مفهوم ، علم ...
حاضر حاضر حاضر حاضر
عاد عطا عند الفجر وجد أخته بسيطة في انتظاره ،
أخذها ومضي إلى فيلتة ..
وقضت الشهر هناك تخدمه كخادمة و أقل من خادمة عن طيب خاطر
أما عن فتحي فجاء في الصباح إلى فتحالله فوجده يزرع نبات الذرة فعرض عليه المساعدة و اختار نصيب نجية ابنة فتحالله وحمل جوال الحبوب ليمشي به خلفها.
و بعد شهرين بشر فتحالله أنه وجد الأضحية ..

هلل معه فتحالله و اعد زاد لأبنه سعد في المدينة.. و في فجر اليوم التالي سافر فتحي ومعه زاد سعد مع السلامات والتحيات ... سلم الزاد إلى سعد ثم مضي إلى الرجل الكبير ليأخذ باقي الخطة والتعليمات.
وعاد فتحي من القاهرة واكمل خطته وعند حبل الضحية منه ، فضحها و اوصل الخبر لأبيها وقد تأكدت أمها. وحان موعد التنفيذ.

الفصل الرابع
فتاة القولاحة

مازالت مختارة صغيرة لم تتم الست سنوات و تجلس مع أبيها (إبراهيم) تحت شجرة الصفصاف العتيقة عند الساقية الكبيرة ليباشرا البهيمة التي تدور بالساقية .
الشجرة جذعها سميك جداً و فروعها متدلية بكثافة و حولها مساحة كبيرة من الأرض الفضاء و الترعة من الناحية البحرية و هي على الترعة مباشرة و الساقية في الناحية الشرقية في حضن حقل ذرة شديد الخضار و طوله بلغ المترين تقريبا وبجانبه حقل من نبات الذرة الذي اكتمل نموه . و يفصل الساقية عن الترعة طريق يصل إلى البيوت في القرية.
و جاء المساء و الظلام غطي المكان و كانت ليلة مظلمة جدا.
الطفلة مختارة نائمة تحت الشجرة و مغطاة بغطاء خفيف و إبراهيم هذا الرجل العجوز يجلس جوارها يلاحظها ... صوت الساقية يعلو و يهبط و يكسر صمت المكان مع أصوات نقيق الضفادع المختلفة في الحدة و الشدة ..
البهيمة التي تدور بالساقية كلما و قفت نادى إبراهيم من بعيد و هو جالس في موضعه "حِيِيي" فتمشي... فتدور الساقية. و لكن البهيمة تعبت لا تكاد تكمل دورة و تقف ، قام إبراهيم و أنزل النير من على رقبتها و سحبها تحت الشجرة في المكان المخصص لها...
قامت الطفلة من غفوتها و إذا الليل و الظلام غطا المكان. جلست و همت بنزع الغطاء الذي عليها فأعاده إبراهيم عليها فجلست على الأرض القرفصاء و الملاءة على رأسها و حولها، (مفلوفة بها)..

مختارة: متي سنعود إلى البيت يا أبي إبراهيم..؟ (و هي تدعك عينيها بيديها).
إبراهيم: سأرسلك للبيت حال و جود أحد إخوتك و أظل هنا حتي ننتهي من ري الأرض.
مختارة : و لماذا لا توجد بهيمة في الساقية...؟!
إبراهيم: البهيمة تعبت و في انتظار قدوم أحد إخوتك ببهيمة أخرى.
مختارة : الظلام حالك يا أبي إبراهيم لن أعود للبيت لن أتركك وحدك.
(إبراهيم) : نعم ابنتي الظلام حالك و من الأفضل لي أن تكوني معي لكن من الأفضل لكِ أن تسرعي للبيت.
مختارة : لا لن أتركك يا أبي إبراهيم.
(إبراهيم) : أخشي عليكِ من ندى الليل.
مختارة : الندى جميل يا أبي إبراهيم في الصيف.
إبراهيم : الندى مؤذي في الصيف كما الشتاء.
مختارة: لا تخفْ سأكون بخير ما دمت أنا معك.. هيا نلعب ..
و صمتا الاثنين ليفكرا ماذا يلعبان ..؟!
و في فترة الصمت و السكون فجاءة أهتزت أعواد الذرة التي اكتمل نموها و لم ينضج ثمرها بعد.. و سمعا صوت ضحكة نسائية خفيفة ثم بعد فترة أصوات تشبة أنين الساقية..
مختارة: ما هذا الصوت يا أبي إبراهيم ؟!
(إبراهيم) : إنه صوت إحداهن تبحث عن شيئ ما..
مختارة: و ما هو ...؟!
(إبراهيم) : (حائرا) .....تبحث عن...عن.... عن
مختارة : (كوز ذرة)...؟!
أبراهيم : ...ربما

مختارة : أعواد الذرة عالية.. و ثمرها لم ينضج بعد والحقل التالي اكتمل النضج وجف..
(إبراهيم): نعم ابنتي ... هي لا تعرف أن ثمر الذرة لم ينضج بعد.

بعد فترة يخرج شخص من بين أعواد الذرة من الحقل المكتمل النضج و يصل إلى الطريق (فتنفر) البهيمة و تصدر صوتا و يستنتج الشخص أن هناك أحدا يجلس تحت الشجرة... فيحاول الفرار بسرعة..
إبراهيم ينادي ....مَنْ هناك...؟! قف..
الشخص الذي خرج من حقل الذرة يحني رأسه و يقف مكانه ..
إبراهيم يقوم من مكانه و يتجه إلى الشخص...
الشخص يلقي بالتحية في صوت ضعيف و هو بعيد..
الشخص: " أعطاك الله العافية مُعلم إبراهيم ... (و يتضح إنها فتاة)
إبراهيم : (يصل إليها) من أين أتيتِ و إلى إين تذهبين..؟!
الفتاة : الستر و لن أفعلها مرة ثانية..
(إبراهيم) : هل وجدتِ ما تبحثين عنه داخل الذرة..؟!
الفتاة : (لم تجب .. و تمشي منحية الرأس) .
...عاد إبراهيم إلى موضعه حيث الطفلة التي استغلت نظرها وسمعها الحادين وعرفت أنها فتاة.. و سمعت الحديث..
مختارة : لماذا تبحث النسوة عن ثمر للشواء و هي تعلم جيدا إنه غير ناضج والحقل الآخر جاف جداً.
إبراهيم : ليس النسوة فقط ..إنها طبيعة الأنسان الجائع..يبحث في أي مكان متأملا الشبع . هي لا تعلم أن الثمار لم تنضج بعد والحقل الآخر جاف ..

مختارة: في الصباح أتت هنا و دخلت نفس الحقل لتنتقي أعواد نبات الملوخية..
إبراهيم : (حائرا) نعم.
مختارة : (قطعت حيرته) ربما أحد ما سرق عدة كيزان من حقل آخر وخبئها في هذا الحقل .. و هي أتت لتأخذ بعضا منه..؟!
إبراهيم: نعم نعم ربما..
مختارة: و ربما أتت لأخذ عدة كيزان من الذرة الجاف ..؟!
إبراهيم : نعم .....!!
مختارة: الشبان يا أبي إبراهيم يسرقون كيزان الذرة من الحقول الناضحة و يأتون بالقوالح و يحرقونها و يشوون الذرة عليها و يأكلون.... و يتم هذا في الحقول الغير مكتملة النضج حتي لا يعرف أحد.
إبراهيم: و من أين عرفتِ..؟!
مختارة : كنت أُلقم الكيماوي و أضع كمية صغيرة من السماد الكيميائي تحت أعواد النبات مع أبي و وجدنا مساحة خالية من أعواد نبات الذرة و آثار نار و مجموعة القوالح الجافة وعدة كيزان خضراء و عندما سألت أبي ما هذا أخبرني..
إبراهيم: نعم .
مختارة : لعل الشبان فعلوا فعتلهم بهذا الحقل و هذه أرادت أن تأخذ منهم أو تبحث عن البقايا ..
إبراهيم : يهز رأسه بالموافقة.
مختارة : لماذا يا أبي إبراهيم.. تبحث هنا في الليل ، لن تري شيئا.. اليس لها عقل ؟!
إبراهيم: يا ابنتي متي كانت القيادة للجسد يندثر العقل . فأحذري لا يقودك الجسد يوما..
مختارة : و لماذا تبحث الآن.. و لا تنتظر الصباح..؟!

إبراهيم : ربما تريد أن تأكل كوز من الذرة المشوية الكثير مغرم به ولا يستطيع مقاومتة ،رخيص ولذيذ .
مختارة : أنا أحب الذرة المشوية كثيرا .
إبراهيم : و أنا أيضا ...
مختارة: هل يمكن لهذه الفتاة أن يكون مرادها القوالح المتبقية من الشبان فهي فتاة القولاحة .
لماذا تجمع القوالح متاخرا هكذا...؟ الجو صيف... و لا أحد يصطلي .
إبراهيم: ليس شرطا أشعالها للدفئة ربما تريد أن تشغل الفرن.
مختارة : هذه الفتاة. فتاة أمي.
ما معني الستر يا أبي إبراهيم ...؟!
إبراهيم : الستر هو ألا تخبري أحد بما سمعتِ أو عرفتِ من أخطاء البشر..
مختارة :نعمممممم ..... عود قش.
إبراهيم : (غير فاهم) ماذا تقصدين..؟!
مختارة: حينما نضع عود القش في الفرن لا يعود كما كان ، هكذا الكلام الذي نسمعه لا نكرره.
إبراهيم : أحسنتِ.
مختارة : أبي إبراهيم..؟ ..؟! هذه الفتاة هي التي تتدرب عند أمي .
إبراهيم: و كيف عرفتيها... ؟!
مختارة : اعرفها من طولها... منذ فترة لم تذهب للكنيسة. كانت حينما تصلي في الكنيسة تغمض عينيها و تلصق كفيها ببعضهما و من عمق صلاتها تشبّ على قدميها فتقف على أطراف أصابعها فتشبه القولاحة في وقفتها و أنا اسميتها فتاة القولاحة
إبراهيم : نعم.

مختارة : هذه الفتاة دائما تحتاج (للقوالح) منذ انقطاعها عن الكنيسة ..رأيتها أكثر من مرة و أنا هنا بجوار الساقية عائدة تحمل القوالح.. تأخذ القوالح من بيت لتعطيها لبيت آخر
الم تكتفي بعد يا أبي إبراهيم من لعبة القوالح..؟!
إبراهيم : لا... مَنْ تلعب بالقوالح لا تمل ، ومن تشعلها كي تطبخ بها تكون دائما جائعة ؛ لأن طبيخها لا ينضج إلا باستخدم كمية كبيرة من القوالح ؛ لأن نار القوالح ضعيفة لا تفي بالغرض و دخانها دائما حاضر يتعب العيون .
مختارة : الخشب يا أبي إبراهيم يكفي بالغرض.
إبراهيم : نعم ...هو الخشب .
القولاحة تنشأ و تعيش في الخفاء ، أما الخشب ينشأ في العلن ، الأشجار خارج البيوت . و ناره شديدة و تفي تماما بالغرض و دخانة قليل .
مختارة: صدقت يا أبي إبراهيم ..إخوتي عندما تشعل القوالح سريعا ما تنطفئ و لا نصطلي جيداً ، أما عندما يشعلون الخشب ، نار الخشب قوية نصطلي جميعا و ربما دفنوا النار الباقية من أجل الغد.
إبراهيم : نعم هذه حقيقة.
"لا تصطلي أبدا بنار القولاحة التي بالخفاء..
فلتكن نارك من خشب دائما و لو كان به سوس أفضل بكتيييييير من نار القولاحة ".
مختارة :حاضر..
هذه الفتاة يا أبي إبراهيم دائما ما تلملم القوالح من البيوت..
إبراهيم : إياكِ أن تكوني مثلها..
"موتي من البرد و لا تطلبي تلك القوالح"
مختارة : حاضر يا أبي إبراهيم.

عندما يأتي الفجر ندخل حقل الذرة و نبحث عن كوز ذرة تركه الشباب..
إبراهيم : هذه سرقة لا يجوز..
مختارة : نحن لم نسرق سنأخذ بقايا اللصوص..
إبراهيم : الذي يأخذ من اللصوص هو أيضا لص حتي و أن اشترى منهم بثمن .
مختارة: حسنا يا أبي إبراهيم سأنتظر حتي ينضج محصول الذرة الذي لنا و سوف تشوي لي كل يوم كيزان الذرة.
إبراهيم : نعم هذا هو الكلام..
مختارة : هذه الفتاة تتعلم عند أمي.. لماذا تتعلم مهنة و أبيها غني جداً..؟!
إبراهيم : أي أنسان لابد أن يتعلم حرفة.
مختارة : حتي أن كان غني..؟!
إبراهيم: حتي أن كان ملك.
مختارة: ملك يعني ملك..؟!
إبراهيم : نعم ملك يعني ملك.
مختارة : و لماذا يتعلم الملك حرفة..؟!
إبراهيم : حتي إذا جار الزمان عليه و نُزع المُلك منه لأي سبب يجد حرفة يعمل بها و يتخفي فيها و يعيش منها.
و يمكن لهذه الفتاة أن تتزوج رجل فقير فماذا تفعل بمال أبيها..؟! مال أبيها لأبيها و في الأكليل يقال لها "أنسي شعبك و بيت أبيكِ"
مختارة: و لماذا تنسي شعبها و بيت أبيها..؟!
إبراهيم : ليس المقصود النسيان و الجفاء .المقصود تنسي الترف ببيت أبيها و تعتمد على نفسها وتدبر بيتها.
مختارة : لكن هذه الفتاة جميلة جدا .. و تتحدث اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية كما علمها أخوها.

إبراهيم : النصيب يا ابنتي لا يعرف جمال أو غنى.. أو تعليم
مختارة : أصبت أبي إبراهيم أنها فتاة قولاحة
إبراهيم: لا أفهم..
مختارة : اليوم بطوله تجمع القوالح من بيت لتعطيها لبيت آخر
إبراهيم : هذا لا يجوز أن نتكلم عن الناس في غيبتهم..ربما لها سببا وجيها تفعل هذا من أجله ..
متي ستسافرين إلى محافظة المنوفية لحضور عرس ابن أختك..؟!
مختارة : الأسبوع القادم ننتظر قدوم أقشمة التموين حتي نأخذ هدية لأختي و أولادها ...حتي تكون مميزة في بلدتها .
إبراهيم : ما رأيك أن نلعب الآن ..
مختارة : لعبة الأصوات .. كما كانت الفتاة تقلد آنين الساقية و كنت العب هذه اللعبة مع جدي فاخوري هيا نبدأ..

الفصل الخامس

هيا نلعب .. من أنت ؟

إبراهيم : لنسمع.. صوت الساقية تنن يشبه مَنْ هذا الصوت..؟!
مختارة : صوت أي أمرآة و هي غارقة في النوم.(يضحكان)
إبراهيم : لنسمع صوت نقيق الضفادع..(صمت و سكون ...)
مختارة: هذه الأصوات صوت منافشة أمي و أمي أم حنا حينما يتعاركان كلا ترد على الأخرى أو أُووو أو أُووووو.... .(يضحكان)
إبراهيم : و صوت خوار البقرة...يشبه مَنْ..؟!
مختارة : البقرة ... ؟ البقرة ...؟ البقرة...؟ (و هي تفكر)
صوت أخي منصور و هو ينادي أبي على مسافة بعيدة.
يابااااااااااااااااااااااااااااه (يضحكان)
إبراهيم : صوت ثغاء الماعز.
مختارة: صوت جارتنا الجدة أم مسعود و هي تنادي في الشتاء "أسماء"
يا أسماااااااااااااااااء (يضحكان)
إبراهيم : صوت رغاء الجمل..؟!
مختارة : يشبه صوت عمي محمود و هو يتعجب و هو غاضب. (يضحكان)
إبراهيم : براد الشاي و نحن نصب الشاي بالكوب..
مختارة: الطفل أيمن حينما يتكلم ، يتكلم بسرعة و لا تفهم منه شيئاً لكنك تحب أن تسمعه....
إبراهيم : صوت صياح الديك..
مختارة: صوتك يا أبي إبراهيم ..الجميع يفزع منه (يضحكان)

إبراهيم : صوت نقنقة الدجاجة
مختارة: صوت أختي أمل و هي تعطي أوامرها الكثيرة لي " هاتي الخبر ثم الحطب و اشغلي النار ....."
إبراهيم : صوت نهيق الحمار
مختارة: العم فتحالله و هو ينادي على أحدهم
إبراهيم : صوت صياح الديك الرومي....
مختارة: يشبه خالي عطا في عصبيته
إبراهيم : صوت زبيط الأوزة
مختارة: صوت أبي قابيل صوتة جهوري
إبراهيم : صوت بطبطة البطة
مختارة: أمي أم رأفت...
إبراهيم : صوت مواء القطة
مختارة: فتاة القولاحة..
إبراهيم : صوت مأمأة الخروف
مختارة: أخي يحي
إبراهيم : صوت زئير الأسد
مختارة: كيف يكون
إبراهيم : يقلد زئير الأسد
مختارة : صوتك يا أبي إبراهيم في غضبك الشديد
إبراهيم : صوت نباح الكلب
مختارة: عمي فتحي...
إبراهيم : صوت زقزقة العصفور
مختارة: خالتي هيلانة
إبراهيم : صوت نعيق البومة اووووؤ اووووؤ
مختارة: مثل العم فتحي وهو على عجلة من أمره
إبراهيم : صوت عواء الذئب عوووووواء

مختارة:كيف هذا....؟!
إبراهيم : (يقلد الصوت...)
مختارة: أبي اسحق..
إبراهيم : صوت نهيم الفيل..
مختارة: صوت أبويا العمدة (يضحكان)... و سمين مثلة
إبراهيم : ...نعم و لا أحد يستفيد منه بشئ..
إبراهيم : صوت صفير الرياح
مختارة: أبي عبدالله
إبراهيم : نعم تهجم فجاءة أصبتِ لا تعرفين من أين يأتي و لا إلى أين ينتهي..
إبراهيم : نعود و نكمل صوت صرير الباب
مختارة: عمتي ريما
إبراهيم : صوت خرير المياه
مختارة: ضحكة أمي (يا سلام ....إبراهيم معلقا يضحكا)
إبراهيم : صوت طقطقة النار
مختارة: زوجة عمي اسحق
إبراهيم: وماذا يشبه صوت أبيكي يوسف..؟
مختارة: جرس الكنيسة بالقاهرة
إبراهيم : وصوتك أنتِ...؟!
مختارة: لا أسمع صوتي قل أنت يا أبي إبراهيم...
إبراهيم : صوتك يشبه عندلة العندليب وهديل الحمام.

الفصل السادس

لم تكن

يوم مشرق في القرية و منظرها الخلّاب يسحر القلوب ، الترعة مملوءة بالماء الصافي .. و قطعان الأوز الأبيض منتشرة بها و لكن زبيطه لا يملأ الدنيا فرحا كالعادة ..كان الكل في انتظار دور القرية في المياه و الكل سعيد لكن انتشر خبر جعل الكل حزين ..
أمس كسرت "قلة" في أحد البيوت..
كانت الفتاة القولاحة كما لقبتها مختارة قد أفتضح أمرها..
بعد العشاء جاء "سعد" خلسة من المدينة يلبس جلباب و على رأسه وشاح و في دخوله القريه قلد أحد المتسولين حتي وصل إلى بيت أبيه...
طرق الباب ففتح له أبوه و كان العشاء معد ..تناول العشاء وحده بحجرته ولم يشارك أسرته كالعادة ..و لم يخرج من حجرته ، حتي نام الجميع..
البيت ريفي و به خيرات الله و صاحب البيت مقتدر و له أطيان كثيرة..
فتاة القولاحة ابنة صاحب البيت كانت طويلة و نحيفة و بيضاء كالثلج و ذلك ما كان يميزها عن فتيات القرية جميعهن.. عيناها كجوهرتين تلمعان ببريق سحر الياقوت الأرزق و فمها كخاتم المُلك و وجنتيها كوردتين بلدتين ، و ضفرتي شعرها التي تخالف الواحدة الأخرى بضع مرات فوق جبهتها تاج من ذهب خالص لملكة فوق عرش مملكة

و جبهتها تشع نورا كنور الشمس و رقبتها تباري رقبة نفرتيتي و تفوق.. لم يتجرأ أحد من شباب القرية طلب يدها لشدة جملها و غني و الديها..
كانت ليلة مظلمة حالكة السواد دخل أخيها مخدعها و سحبها من بين أخواتها مشيرا لها بالصمت و أن تخرج معه لخارج الحجرة بهدووووء.... كانت يقظة و الدموع تملأ عينيها و كانت تعض طرف الغطاء الذي كانت تتغطي به لئلا يسمع أحد صوتها.. كانت تنتظره.. و لما سمعت زبيط الأوز عرفت أنه آت فكفكفت دموعها ..
و لما دخل و أشار إليها قامت و خرجت معه إلى دهليز البيت ... سحبها بغيظ .. و وضع الفأس على كتفه .
و أعطاها طرحة سوداء لتغطي رأسها ، و قطعة من القماش الأبيض و جنزير بيدها فأخذتهما و حضنتهما بيدها اليمني و سحبها من يدها الأخرى و مضي بها إلى خارج البيت ثم إلى طريق وسط الأراضي الزراعية متجها إلى المدافن .. سار أمامها وسارت خلفه و هي منكسة الرأس و لم تنطق ببنت شفة... و في سيرها فردت اليد اليسرى، اليد الفارغة لتلمس بعض أعود الذرة المتأخرة في النمو و المنسية في الحصاد عاتبة عليها، كيف وثقت بك للستر ففضحتيني ... و كلما طالت يديها ورقة قطعت يدها كما حد الموس ، و استمرت في مرورها على حقل ذرة رفيعة ثم مساحة من الأرض البور التي طلع فيها الشوك و فرد سطوته كانت تلمس كل ما تمر بجانبه كأنها تهدي السلام ، و أوراق الذرة تقطع كما الموس و الشوك يشرط كمشرط الجراح كان الدم ينزف من يدها و يقطر على الطريق بين الزرع و استمر يقطر على الطريق الخالي من الشجيرات...
و صلا إلى المدافن ، و بدأ أخيها في حفر حفرة بالفأس و معول المدافن ، أختار مكان بجوار مدفن عائلته و أختار موضع بحيث تكون رأسها أسفل أرجل جميع المدفونين من العائلة ..

و بينما هو يحفر تذكرت الفتاة ما حدث و هي تحتضن الجنزير و قطعة القماش البيضاء بكلتا يديها..

كان أحد أيام الربيع قامت مع أهل البيت مع خيوط الفجر الفضية غسلت وجهها وغيرت ملابس نومها وصلت " أبانا الذي" على عجل ...

خرجت الباقيات إلى الحقل لزراعة نبات الذرة مع أبيهن وبقيت هي بالمنزل مع أمها للمساعدة في حلابة الأبقار والجاموس حسب دورها في جدول الأعمال وبعد الأنتهاء أشعلت (بابور الجاز) وأعدت الشاي وبينما يُعد الشاي اتجهت إلى الكانون و وضعت عليه (الساج: قطعة من الحديد) وسخنت(قمرت) خبر كاف للأفطار ولفت الخبز بقطعة قماش حتي يظل بحرارته لأطول مدة ممكنة وأتت أمها بقطع الجبن القريش وطبقين من القشدة وقطعة جبن قديمة وطبق من عسل النحل ووضعت الجميع على صينية كبيرة وحملت الصينية على رأسها مع أكواب الشاي ...

ووضعت أمها قلة ماء في يمينها (تحضنها) وبراد الشاي في يسارها ، وانطلقت إلى الحقل...

خرجت من البيت ومشيت على الترعة تنظر الماء وقطعان الطيور وتهدي الصباح بالخير بصوت أعذب من ماء النهر إلى جميع من تراه ...

انعطفت مع الطريق ودخلت زمام الحقول وكأنها الملكة أو عروس كل من يراها يقف لها كي تشبع عيناه من جمالها مع نسمة الصباح وزقزقة العصافير وأشعة الشمس الحانية زاد سيهون قسوة اليوم من العمل الشاق وأشعة الشمس الحارقة .

وصلت إلى الحقل لأبيها أخذت أخواتها منها قلة الماء وبراد الشاي و أنزل أبيها الصينية من على رأسها ..

رفعت رأسها لتري العصافير تحوم في السماء كأنها تهدي السلام إليها و الشمس فوق الجميع كأنها تبتسم لها وترسل أشعتها الأولي الفضية تمتزج بالهواء فتشعر الفتاة بأنها في وسط كرة من البلور السائل . حتي نبات الحقل الصغير في الحقول المجاورة بلونه الأخضر يلمع ...كل شئ يلمع حتي الحقول التي مازالت طينية و المعدة للزراعة تلمع الجميع يلمع بلمعة حياة كأنهم يتسابقون جميعا ليهدوها الصباح بالخير..

جلست مع أبيها وأخواتها لتناول وجبة الأفطار على عجل كعادة الفلاحين وتناولوا الشاي أيضا على عجل وقامت مع الجميع لإستكمال زراعة نبات الذرة..

وجاء الرجل و عرض المساعدة في العمل و فرح أبيها بالعرض نظرا لعدم وجود عمالة . و أخذ الرجل جوال حبوب الذرة في يديه و كلما قطعت مساحة ارتحل بالجوال ليعطيها الحبوب في حِجرها فهي تربط الجلباب كعادة الفلاحين بشكل معين ليكون كالجبعة و تضع بها كمية من الحبوب. و تأخذ من حِجرها عدد قليل من الحبوب و تنقر في الأرض نقرة صغيرة و تضع حبة أو حبتين ثم تغطيها بالتراب مرة أخرى

و أثناء ذلك دار الحوار التالي:

الرجل : لماذا لم تزرعوا الأرض أمس ...؟

الفتاة: أمس كان الأحد.

الرجل : نعم نسيت.

رأيتك و أنت ذاهبة للكنيسة باكرا أمس.

الفتاة : نعم ذهبت لأصلي.

الرجل: كلنا عبيد الله .

الفتاة : نعم.

الرجل : و أنت عائدة بالبهائم من الحقل أمس سمعتك وأنت ترنمين الترانيم ...صوتك جميل.
الفتاة : صحيح يا عمي.
الرجل : نعم.
اسمعيني ترنيمة أعروس الفادي.
الفتاة : و هل تعرفها يا عمي ...؟!
الرجل: نعم.
قولي أعروس الفادي القبطية
الفتاة : حقا(و تنظر لأبيها فيؤمي لها بالموافقة)
الرجل : نعم هيا...
الفتاة : أعروس الفادي القبطية
و ضياء بلادي المصرية
بمحبة قلبي النارية
اهواكي يا أرثوذكسية
الرجل : مستحسنا
الفتاة : أم الشهداء جميلة أم الشرفاء نبيلة
عبرت بحر الآمات حفظت بدماها الحق قويم
الرجل : مستحسنا
هل تعلم معني هذه الكلمات يا فتحالله
فتحالله : أعلم لكني سأغادر لأربط البهيمة بالساقية ،
حتي اذا انتهيتم من الزراعة تكون المياه وصلت الحقل
اشرحي لعمك ما معناها
الفتاة : حاضر يا أبي.
الرجل : و هل تعرفين معناها..؟!
الفتاة : نعم يا عمي .
الرجل: اشرحي إذن:

الفتاة : أعروس الفادي القبطية و ضياء بلادي المصرية...
ينادي المرنم الكنيسة المجاهدة و بخاصة الكنيسة المصرية
و محبة قلبي النارية أهواك يا أرثوذوكسية ...
أي أحب المذهب الأرثوذكسي الذي حارب من أجله أبطال الإيمان البابا أثناسيوس والبابا كيرلس والقديس ديسقورس الذين حاربوا البدع و الهرطقات ...
أُم الشهداء جميلة أُم الشرفاء نبيلة...
أي الكنيسة التي قدمت الآف الشهداء من أجل اسم الله المبارك هي نبيلة و جميلة.
عبرت بحر الآمات... أي الاضهطادات
حفظت بدامها الحق قويم...
أي قدمت دم أبنائها بالإستشهاد حتي تحافظ على سلامة الإيمان من البدع و الهرطقات.
الرجل: بسم الله ماشاء الله.... الله اكبر من عينيّ
ما هذه العظمة ...؟!
تشرحينها أفضل من أبونا(الكاهن) نفسه
ربما أبونا لا يعرف ما تعرفين..
ما شاء الله .. ما شاء الله.. جمال في الوجه و الجسد و الروح و العقل و الصوت...
ترى....أي مبخت هذا من ستكونين له...؟!
ياليتني كنت أصغر بالسن وعلي نفس الدين ما كنت تركتك لغيري أبدا اكملي اكملي بصوتك الملائكي هذا
الفتاة : اكملت الترنيمة
والرجل : يستحسن حتي النفس الذي تأخذه
و انتهت من الزراعة و عادت إلى البيت

و بعد خمسة عشر يوم جاء أيضا و هي في الحقل لتلقيم نبات الذرة اي و ضع كمية من الأسمدة تحت كل نبات نبت ، جاء الرجل و عرض المساعدة أيضا على أبيها في العمل فجدد أبيها الترحيب بالعرض نظرا لعدم و جود عمالة أيضا.. فأختار الرجل القطعة المسئولة عنها.
و دار بينهما الحديث التالي:
الرجل: ما هذا الجمال .. أتأتي إلى الحقل "بالجلابية" الجديدة التي للعيد...؟!
الفتاة : لا ليست جديدة إنها قديمة ، و قديمة جداً يا عمي .
الرجل : يا لا العجب ...يبدو أنها جديدة.
الفتاة: صدقني أنها قديمة.
الرجل : و الوشاح ؟!
الفتاة : قديم أيضا..
الرجل : (مشيرا إلى الوشاح) يبدو إنه خشن ..من أي نوع من الاقمشة؟!
الفتاة : صوف..
الرجل : أريني إياه.. (مع صوت نعيق غرابان تحوم في السماء)
الفتاة :(ببساطة) تفضل يا عمي (ممسكة بطرف الوشاح).
الرجل يمسك بطرف الوشاح و يتعمّد لمس أذنها و خديها..
و يتعجب و يقول :
سبحان الله.. ما هذا الجمال..لمسة خدكِ أطعم من أكل التفاح الامريكي.
الفتاة : (تضحك ساخرة) و هل أكلت التفاح الامريكي من قبل..؟!
الرجل : لا و لكنهم يتحاكون عن لذته و حلاوته.. تماما كلمس خدك.. أتكلم الانجليزية مثلك لكني لم آكل التفاح
الفتاة : ما هذا الكلام السخيف ...؟! سوف أخبر زوجتك..

الرجل : و ما المانع أخبريها لعلها تتحرك..
الفتاة : كف عن هذا الكلام السخيف و أعطني "الكيماوي" (السماد الكيميائي)
الرجل : تفضلي يا قمر.. يا بدر البدور.. Here it is
الفتاة : كف يا عمي عن هذا الكلام من فضلك.. أنت تتكلم الانجليزية فعلا
الرجل: Please do not call me uncle
أحب أن أسمع اسمي من شفتيك اللتان تقطران مراً مائعا.
الفتاة: (مذهولة) و ما هو المر المائع هذا
الرجل: هو نوع من المر ولكنه غالي الثمن جداَ ... هيا اذكري اسمي
الفتاة : No never.. لا يصح .
الرجل : اذكري اسمي مرة واحدة ، لي اشتهاء أن أسمعه منك قبل أن أموت..
الفتاة : أبعد الله الشر عنك يا عمي ..لماذا تقول هذا الكلام..؟!
الرجل : عمي ..لا قولي.. فتحي .. (بتوسل) فتحي مرة واحدة أتوسل اليك مرة واحدة.. واحدة.. فقط
please please one time only
الفتاة :(مترددة) اصبر يا عـ...
الرجل : (مقاطعا بتوسل) ارجوكي ارجوكي فتحي... فتحي... فتـ حي..
الفتاة : لا استطيع لا أجرؤ..
الرجل : سوف أساعدك قولي عمي في السر ثم فتحي في العلن... أو اديري وجهك في عمي و هنا فتحي ..
الفتاة: (في سرها) عمي (و في العلن) فتحي (بصوت ضعيف)
الرجل : نعم نعم لم أسمع جيداً..
الفتاة : (كررت) فتحي(باستحياء)

و عندها صار يرقص و يهلل و ينادي على أبيها يا فتحالله سوف أسافر غداً للقاهرة هل تريد شيئا من هناك..
فتحالله: (على بعد) كل مرة تسافر القاهرة تقيم فيها الأفراح..
نعم أريد أرسال بعض المؤن لولدي هناك..
الرجل : جهز ما تريد و أنا في خدمتك .. و ذهب إلى أبيها ليكمل الحديث.
أنهت عملها في حقل الذرة الصغير الذي لم يبلغ 20 سم .
ذهبت إلى البيت و سألها أبوها لماذا اقترب الرجل منك و لمس رأسك ..؟!
خوفها من وقوع المشكلات منعها من إخبار أباها بالحقيقة و أجابت أن دبورا دخل أذني فخفت و الرجل نزعه لي.
كما إنه علمني كلمات انجليزية وكلمات فرنسية جديدة
و عندما أوت إلى فراشها تذكرت كلمات المدح و لمست يد الرجل على خديها و فرحته العارمة بمجرد لفظ اسمه... و ابتسمت ابتسامة كبيرة و نامت .....
مرت عدة أيام و التقيا بعمل أخر ...
لاحظت عينياه التي لم يحولهما عنها طوال اليوم بعمل الحقل..
و بعد عدة أيام أخرى التقيا ليلا في أحد الأفراح و هو يأخذ منها صينية الشربات ....
و عاد فأشار إليها بإحضار صينية أخرى..
و أمر ..زيدي الأكواب..... فزادت
قللي الكمية في كل كوب... فقللت
و صار صراخ هوذا العريس مقبل بعروسه فجرى الجميع لمقابلة العريس و العروس.. و كانت هي بحجرة إعداد الشربات و لم تسمع فدخل إليها و طلب منها كوب شربات له و بينما يأخذه من يدها

اليمني أمسكه بأطراف أصابعه و تمهل في أخذه و بينما ترفع يدها اليسرى في تعجب.. انحني و أمسك يدها اليسرى و قبلها ...
انزعجت جدا و تركت الكوب من يدها و خرجت مسرعة من الحجرة لم تجد أحد بالبيت فخرجت خارج البيت و شقت طريق وسط الناس لتري العروس أو هكذا ظنوا..
و بعد الأكليل عادت لتكمل مهتمها..
و مع آخر صينية همس في أذنها.
ياليتني كنتُ العريس و أنتِ العروس.
ذهلت من الجملة ...
و لم تعرف بماذا تجيب..
أخذت هذه الكلمات بأذنيها و قبلته على يدها و عادت مسرعة إلى مخدعها لتنام و لذة الكلمات تسري بجسدها و قبلة يدها طبعت في عمق مشاعرها..
وبعد أسبوع كان عرس آخر قامت بنفس المهمة وهو كذلك وعند قدوم العروس دخل هو لحجرة الشربات وقال للموجودات .. وصلت العروس
فهممن جميعن بالخروج وكانت هي أخر واحدة وضع يده على الباب ليحتجزها وعندما مالت لترفع يد طبع قبلة على خدها مع لمس جزء من شفتيها ..
دفعته بعيدا وخرجت مسرعة لرؤية العروس
وعند انتهاء كتب الكتاب عادت لما كانت تفعل ومع انتهاء مهمتها عادت للبيت ودفنت أنفاسها تحت الوسادة وأطلقت لخاليها العنان مع فرحة أول قبلة
قامت في الصباح لتبحث عنه..
و أصبح هم الواحد مقابلة الآخر .. و لما صار نبات الذرة حوالي مترين

أخذها هناك مكان أول مرة تكلما وتناقشا سرا في أمور عادية ومع روح المغامرة التي كانت بها نشوة بريئة تحولت هذه المغامرات بالتدريج الى نشوة غير بريئة.
كان يأخذها كل مرة في مكان مختلف ويتكلما .....
و صارت اللقاءات متعددة، في الليل البهيم ، و في الهجير القاسي ، في عش قش الذرة عند تقطيع أعواد القطن ، و حيث البيوت الخالية من البشر ما بين الساعة الثامنة إلى العاشرة صباحاً و الثانية إلى الثالثة و النصف عصراَ.
كان يعرف الميعاد منها ، تقابله وسط جموع الناس و تخبر الواقفات.. حصلت اليوم في الصباح على "قوالح" من تسعة بيوت .أي الميعاد غداً في التاسعة صباحاً. أو حصلت عليها عصراً من ثلاثة بيوت أي الميعاد الثالثة عصراً و هكذا.
لم تفصح لأحد، و حينما تري زوجته كانت تحول وجهها لئلا يؤلمها ضميرها .
و كانت المفاجأة .. إنها حبلي ..ماذا تفعل ...؟!
ذهبت إليه و أخبرته..
الفتاة: فتحي؟!
فتحي :نعم يا حبيبي نعم ..
الفتاة: اترك المذياع من يدك ...
فتحي : عبد الحليم يغني ... ما الموضوع..؟!
الفتاة : أنا حبلي..
يأتي مقطع
"لا تخافي... و أهدي ... يا صغيرتي..
فتحي يغني مع عبد الحليم و هو يلمس خدها
اخفي هواكي عن العيون ...
الفتاة : فتحي..؟!

فتحي : و كيف مني يعرفون...
الفتاة : (بانزعاج وحدة) فتحي ..
اغلق هذا المذياع المعلون..
فتحي : اغلقناه اطمئني هذه بشرة من السماء لا تخافي
و تركها و مضي..

و مضي ليأكد كلام الإشاعات التي قيلت عنها. و التي بالأساس اطلقها رجال الكنوز...فقد كانوا على عجلة من أمرهم .

أفاقت من غفلتها ..و تنهدت تنهيدة عميقة... وانبرت تؤنب نفسها..

كيف يا الهي لم أسمع لصوتك مع صوت الطفلة الصغيرة مختارة عندما نبهتني ...قائلة ..انتبهي لنفسك من القوالح.. هذه عادة سيئة أن تجمعي القوالح من البيوت و أباكي غني..؟!
لماذا لم أميز صوتك لي يا الهي..؟!
أين كان عقلي..؟!
حينما أخذت حذري من كل الشباب و وقعت في فخ هذا القصير اللئيم بعمر أبي. ذلك الغريب الذي لم يكمّل العام بالقرية .
أخذت حذري من الجسد و لكني وقعت في فخ العقل. سلب عقلي و مشاعري فكان الجسد آخر من صلب على خشبة الغدر.
كنت دائما حائرة ما بين صالح وسعد
صالح يقول لي عيشي سنك وسعد يحذرني من كل الناس ...وها هي نهايتي
عادت الفتاة من سرحانها و قد أنهي أخيها الحفرة و الليل مازالت استاره منسدلة ، تلك خيوط الظلام التي أحبتها بعكس جميع العاشقين الذين ذابوا في النجوم و في وجه القمر و نوره.

أفاقت على واقع مرير و نهاية حتمية.
أفاقت على صمت و سكون المكان و هنا حاضر جميع الشهود على ما كان..
أين أنتم ...؟! و أين أصواتكم العالية التي كنتم تسمعوني إياها في كل مرة ...أذهب لملاقاته..؟!
أين نقيق الضفادع و نعيق البوم و الغربان..؟! أين ضُباح الثعلب و نباح الكلب..؟! أين عرير الصرصور و صرير الفأر..؟! أين مواء القطة و ثغاء العنزة..؟! أين خرير الماء و صفير الرياح..؟!
ألا يوجد من منكم هنا ليستر أخي..
الجميع هنا يتابع في صمت.. البومة و الغراب أعلي فروع الأشجار ، و الضفادع في المياه و على الشطآن ، و الصراصير و الفئران في شقوق الأرض و القطة و الكلب و الثعلب بين الأشجار يقفون ..
الكل صامت. يتابع في حزن..
فا هو عوض الكلمات المعسولات ، يعطيها أخيها اللكمات المتتاليات في بطنها فنزفت في الحال.
و عوض الهمس المعسول ، ستدفن بلا غُسول.
و بدلا صلاة الإكليل، ستدفن بغير دليل و تداس بالأقدام .
و بدلا من الشرف الذي فرطت فيه و رمته تحت أقدام الخنزير.
ها هي تُقيد بالجنزير..
و عوض القُبلة الأولي على يدها ستدفن بغير قِبلة .
كانت كلماتها تصرخ داخلها و لم تفتح فاها بكلمة..
رفعت عينيها للسماء تتطلب الصفح في صمت ...
و أخيرا نقطت.. (أخيها يرفع الفأس عاليا ليقع بها عليها)
"عجل يا أخي قبل الفجر و خذ حذرك و أنت عائد لئلا يكشفك أحد ، لا يجب أن يخبو نجمك بسببي"

أرتعشت يداه و غروقت عيناه و اهتز من داخله..(هي تحثو أمامه في استسلام تام)..
أنزل الفأس أرضا و أجهش بالبكاء..
فقامت و احتضنته و قبّلته و ترجته أن يسرع..
فالجزاء من أصل العمل.
و أوصته أن يذكرها في صلاته، لعل الله يغفر لها ، و أن يسرع بدفنها بعد الضربة حتي و أن مازالت على قيد الحياة.
و بعد فترة أمسك بزمام قلبه من أجل الباقيات..
و هوي عليها بالفأس فماتت من دِقت الضربة ، فأخذ قطعت القماش الأبيض و إذ رائحة الدم فيها فرفعها لأعلي يستطلع ثم أنزلها مسرعا لئلا ينكشف العار و لفها بالقماش الملطخ بدمها و دفنها و أعاد التراب عليها ورش المياه من الترعة المجاورة ، و أخذ فأسه عائدا لأبيه..
في طريق العودة أحس بالفأس تتململ على كتفه فكان ينقلها من كتف لآخر طوال الطريق و أحس و كأن أعواد الذرة الرفيعة تهمس في أذنه و نقيق الضفادع يصرخ بأعلي صوت " قاتل ..قاتل .. قاتل ..قاتل .. " فكان يصارع خطواته حتي و صل للبيت وعندما دخل الدهليز الخلفي قابله قطيع الأوز بزبيطه الجهوري مع ثغاء الماعز كأن الجميع يسأله أين هي أختك..؟!
كانت أمه في انتظاره بالماء الساخن ، تحمم و بدل ملابسه و عاد إلى حيث كان بالمدينة .
بعد ذلك بيومين أتي أحد الشبان إلى القرية قادم من محافظة المنوفية.. شاب طويل و وسيم و غني جاء ليطلب يد الفتاة من أبيها رغم تحذيرات أصدقاءه له بإنها آثمة ..لم يصدق .. ظل أربعة أيام يلتمس رؤيتها فلم يراها .

و أخيرا ذهب إلى أبيها و أفصح عن نيته..
الشاب : عمي أريد أن أتزوج بابنتك..
الأب : بمن فيهن..؟!
الشاب : نجية...
الأب :نجية مَنْ..؟! تقصد بهية..؟!
الشاب : لا لا أقصد نجية.
الأب : لا يوجد لي بنات بهذا الاسم.
يا أم السعد...
أم السعد: نعم يا فتحالله..
هذا الشاب يريد أن يتزوج ابنتك..
أم السعد : أي واحدة يريدها..؟!
فتحالله: نجية..
أم السعد : مَنْ نجية..؟!
يقصد بهية أو صفية أو مارية
قام الشاب مذهولا و ذهب يسأل رجال و نساء القرية..
الشاب: هل رأيتم نجية...؟!
الناس: نجية مَنْ تقصد..؟! الناجيات كثيرات..
الشاب : نجية بنت فتحالله .
الناس :فتحالله ليس له بنات بهذا الاسم .
الشاب: اليس له أربع بنات بكر ..؟!
الناس : ثلاث بنات بكر فقط .
الشاب : أليس أولاد فتحالله سعد و صالح و سعدية و ذكية و زاهية و نجية و بهية وصفية و مارية
الناس : كلهم أولاد فتحالله ما عدا نجية..
ربما رأيتها في قرية أخرى و اختلط عليك الأمر..نجية هذه لم تكن هنا

الفصل السابع
واجب مقدس

مختارة مع أمها في إحدى قرى محافظة المنوفية لزواج أحد أبناء أخواتها جاءت قبل الزفاف بشهر كامل..
أم رأفت تجلس علي ماكينة الحياكة وتغني والنساء تردن عليها وفي المساء يأتين بالطلبة والرقص والغناء
"من سَبل الغلة ماتجيب لنا يا حمام
تعيش وتتنهي ماتجبلنا يا حمام ..."
و "البامية يا طباخين يامين يقمع للحلوين
البامية عجب عجب والقصة والمقصوص ذهب
سلملي عين اللي خطب يستاهل العمر الطويل
البامية يا طباخين..."
و"يا أم العريس حصين (الثعلب) يجر فراكي..."
ولما أتت العروس
صرن يغنين
"خدناها خدناها الحلوة اللي كسبناها
خدنا بالسيف الماضي وابوها ماكنش راضي الحلوة اللي كسبنا
خدناها بالسيف والقوة وأبوها كان راقد جوه الحلوة اللي كسبناها..."
و " العسل النحلي العسل النحلي
يا حلاوة أم العريس زي العسل النحلي..."
وأغاني أخرى كثيرة وجميلة
ويمكن أن يجتمع الأهل يوميا أمام بيت العريس لتمثيل مواقف مضحكة من الرجال والرقص والتحطيب والفرح من كل نوع

و تم الزفاف وانتظرا حتي اكتملت طقوس الأفراح و جاء أهل العروس بالسابع :هدية للعروس في اليوم السابع.
و مع إنتهاء الطقوس انتهت الزيارة.
ومع صباح يوم العودة سرى صوت النحيب بالقرية...
فقامت الناس تستطلع الخبر و إذ بشاب مات فجاءة..
مختارة: اسرعي يا أمي أريد أن أعود لقريتنا..
أم رأفت : لا لن نرحل اليوم..
مختارة : لماذا...؟!
لنا هنا أكثر من شهر انهيتِ حياكة ملابس أختي و زوجها و أولادها و أكملنا كل المطلوب....؟!
أم رأفت : اليوم مات شاب و لابد من واجب العزاء المقدس..
مختارة : نحن لا نعرف من هو... و ليس لنا معرفة بأهله.
أم رأفت : العزاء لا يلزم فيه معرفة و ليس له دعوة كالأفراح العزاء واجب مقدس...
مختارة: كم يوم تبقي لنا هنا..؟!
أم رأفت : ثلاثة أيام..
خرجت الصغيرة مختارة لتستطلع الأمر هي الأخرى فوجدت أصدقاء الشاب يتحدثون فيما بينهم.. اجتمعوا في ساحة كبيرة مصادفة فأقربت منهم لتسأل ماذا حدث..
الصديق 1: كيف مات ... ؟! متي عاد من سفر...؟!
الصديق 2: عاد أمس ليلا... نام و لم يقم من نومه.
الصديق 1: أخبرني قبل سفره إنه مسافر ليطلب يد من يحب..
الصديق 2: نعم تقابلت معه أمس و هو في طريق العودة كان حزينا جداَ. لم أتحدث معه لئلا يفكر أننا شامتون فيه لكنه حكي لي..
الصديق 3: كان معنا بالعرس و كان وجهه منير كأنه العريس..

الصديق 2: نعم حضر معنا العرس هنا و في الصباح التالي سافر ليطلب يد محبوبته .
الصديق 1 : هل عرف الحقيقة و تأكد من صدقنا معه..؟!
الصديق 2: لا.. لم يجدها و أهل القرية و أهلها أخبروه إنه لم تولد لفتحالله بنات بهذا الاسم..
الصديق 4: مسكين الصدمة كانت كبيرة عليه فلم يتحمل.
و تفرقوا...
منهم من ذهب لإحضار الكفن و منهم من ذهب لتجهيز الغُسل.
دفن الشاب بنجيب و عويل ، و جاءت أم السعد في اليوم التالي ، جاءت و جلست على الباب و نحيبها و عويلها فاق الجميع .
هذه القرية مسقط رأسها.. و هكذا كانت نجية تأتي إلى بيت جدها و هكذا الشاب و أحبها.. فهو ابن جيران بيت جدها...
كان من عادة الفلاحين أن المرأة أذا حضرت للعزاء تصرخ مرتين قبل دخول البيت و من بالداخل يردن عليها بمثل ما صرخت ثم تدخل بيت الميت ...
أم السعد قامت بهذا الواجب و تخطته بعدة مراحل ...
بعد فترة طويلة من نحيب أم السعد ابتدأت نساء قرية أم السعد اللائي وصلن قبلها بالهمس.
فقامت جدة نجية من وسط النساء و أخذت ابنتها إلى البيت..
أم السعد: أرايت يا أمي ما حدث...
الجدة : متي كان..؟!
أم السعد : ليلة العرس هنا ..
الناس تفرح ببناتهن أنا أدفنهن ..تلك الفاجرة جلبت لنا العار.
الجدة : أنت المسئولة أمام الله عنها..كانت صغيرة و لا تفهم..
أم السعد : تزوجت و أنا أصغر منها بعامين.. أربع عشر سنة ليست صغيرة ..يا أمي .

الجدة : متي بلغت زينة النساء هل أخبرتها بخطورة الجسد..؟!
هل نبهتيها من الرجال..؟!
هل شرحت لها تغير شعورها من لمسة الرجال لها..؟!
هل افهمتها أن نهايتها قطعت قماش ملخطة بدمها أما أن تكون لواء شرف لها ولأبيها أو كفن عار عليها.. و على الجميع..؟!
أم السعد : و من تقوم بذلك..؟! كل النساء لا تفعل..
الجدة و من قال لكِ أنهن لا يفعلن..؟!
أنظري إلى العروس كيف حافظت على نفسها فزفت لعريسها و بإهمالك لابنتك دُفنت تحت الثري خلسة..
تنبهي للباقيات.. و لا تنتحبي مرة أخرى في العزاء كفانا من الفضائح.
ذهبت أم السعد و نامت فترة ثم قامت و استعدت للذهاب للعزاء ليلا
و جاءت "المعددة" تنشد أشعار في محاسن الميت و تتغزل في صفاته وتعبر عن نحيب أهله ..
جلست المعددة لترابع والنساء كل رُبع (أربعة أبيات على الأقل) يردن عليها بـ
يالاااااااااهوي أو ياخراااااااااااااااااابي أو يا سواااااااااادي أو ياحبيبيييييييييييييييييبي ....و هكذا
و الرد يصحبة شلشلة (ترفع المرأة منديل أبيض كبير تمسكه بيديها من الطرفين و تشد من كل يد عكس الأخرى و ترخي وتشد و ترخي و تشد)
بدأت "المعددة" تقول
"آه يا وهيب يا وهيب يا وهيب روحت فين و أنت الطبيب
نظرت عينيك دوا شافي واسمك ما بين شفافي و لا الحليب
قلت رايح و راجع تاني مشواري يستناني و مشراح اغيب

روحت فين يا حبيب أمك ومن هناك جبت غمك ا يا حبيب"
النساء يالاااااااااااااااااااااااااااااااااهوي مع الشلشلة
هنا نظرت الجدة إلى المعددة بحدة و نظرت لأم السعد نظرة فهمتها فاستأذنت و قامت إلى بيت أبيها...
و اكملت المعددة
" آه يا وهيب يا سند أبوك و أمك و يا أخوك
بدل الحنة غسلوك و على المدافن و دووك
حسدوك يابني و حاقت فيك عين اللي حسدوك
بنت(فتاة) ...
و نظرت إليها الجدة نظرة تهديد
فعدلت ما كانت ستقول
بنت(ظهرت) وكنت كما الفرسان يتنقم من اللي ظلموك
و ترد النساء عليها آه يا حبيبيييييييييييييبي مع الشلشلة
و استمرت المعددة في أشعارها لمنتصف الليل و أم السعد تجلس على السرير في بيت أبيها و تدفن رأسها بين قدميها و هي تسمعها، مرعوبة من أشعارها خوفا من الفضحية. و لا تعرف أن أمها هناك ترس لها..
و انتهي العزاء..و حان وقت الرحيل..
أم السعد : هيا بنا أم رأفت لنعود ..
أم رأفت: أنا جاهزة
و ودعا الأهل و الأحباب و رحلوا مع الصحبة.
كان الطريق طويل له عدة مواصلات و ما بين الموصلات مسافات تقضي بالأقدام .. ليس لها ركوبة لا مواشٍ و لا سيارات و لا قطار . في إحدى هذه المسافات تقدمت أم السعد و أم رأفت الصحبة و دار الحديث التالي:

أم رأفت : كيف حال نجية ..قبل السفر علمتها قَصة جديدة و تركت لها ماكينة الحياكة للتنفيذ..
أم السعد: (بآسي) نجية ... لم يعد هناك نجية.
أم رأفت : (استغراب) كيف...؟!
أم السعد : الم تعرفي بها...كانت تعود من عندك منتصف الليل و هو الله لا يسامحه يستغل ذلك و يأخذها..
أم رأفت : من هذا المعلون..؟!
أم السعد: هو الذي هو... الله هو المنتقم ؛ لم أحذّر ابنتي لأني افترضت النضج فيها؛ و لأنها كانت مداومة على الصوم و الصلاة ما عدا الفترة الأخيرة
أم رأفت : أنا حذرتها...من الرجال..كل الرجال.
أم السعد : قلبي موجوع يا أم رأفت و لا استطيع البوح.
أم رأفت : الله يعزي قلبك كوني قوية من أجل الباقيات.
أم السعد : انتهي ...من سيطلب يدهن الآن؟!
أم رأفت : أنا آخذ واحدة لابني.
أم السعد : أكثر الله من خيرك (وهمت على يدها لتقبلها)
أم رأفت : استغفر الله ...
بعد فترة من الصمت
أم السعد :هاتِ عنك مختارة لأحملها.
بعد أن أخذتها و عدلت الفتاة على كتفها
نبهي مختارة من صغرها إلى خطورة الجسد يا أم رأفت
أم رأفت : و من سينظر إليها يا أم السعد ...؟!
أم السعد : عندما تكبر و يخرطها خراط البنات ستكون ملكة.
أم رأفت : ومن أين سيأتي خراط البنات لها أعتقد أنها لا تنتمي للبنات.
أم السعد: أنتِ امرأة حكيمة لا تقولي هذا الكلام أمامها.

أم رأفت : سأقولة حتي لا تفتكر في نفسها أنها إنسان كباقي الناس
أم السعد : هذه خطية يا أم رأفت..
أم رأفت : لو تعرفين كم اللوم الذي اتعرض له بسببها من بعض البلهاء.
أباها بعينيه العسليتين و وجهه المنير...و هي بوجهها الأسود و عيناها السوداون.
أم السعد: الناحية كلها تعرف بأستقامتك ..اخبريني يا أم رأفت كيف استطعت أن تحافظي على نفسك من الرجال كل هذه الفترة و أنتِ تنتقلين من بيت لبيت..؟!
أم رأفت : السيرة الحسنة..
هي أول ملاطفة قطعتيها انقطعت جميع الملاطفات.
أم السعد : الم يحاول معكِ أحدهم عنوة..؟!
أم رأفت : لا يتجرأ رجل على ملاطفة إمرأة إلا إذا وجد في عينيها السماح...
أم السعد : يقال أن رجلا فعل بفتاة تلك الناحية و الفتاة صرخت و لم تجد من ينقذها..
أم رأفت : هذا ليس رجل: هذا طفل في جسد رجل.
طلب الستر يا أم السعد طلب الستر الدائم من المولي
من طلب الستر لا يفضحه الله
أم السعد: (سرا : و لماذا فضحت ابنتي...؟!)
استر علينا يا الله
أم رأفت: آمين
أم السعد: لأ تؤاخذينني في السؤال الفتاة التي أغتصبت طلبت الستر و لكنها فضحت يا أم رأفت.
أم رأفت: الفتاة صرخت و هو غلبها و صرّحت فستر الله عليها و فضحه هو..

الناس كلها تعرف ظروف الحادث و تتعاطف معها و كم من شاب تقدم لخبطتها أما هو فسيقتل برصاصة طائشة في أحد الأفراح عن قريب..
لن يسمح عمدة البلدة بمآساة لفتاة أخرى.
و لن يكون له عزاء.

الفصل الثامن
المدرسة

جاءت الدراسة وتقدم إبراهيم للمدرسة للمرة الثانية بأوراق مختارة كان عمرها ست سنوات وتسعة أشهر
و أول يوم رافقت أخيها الأكبر و مجموعة من أبناء الجيران
وقفت في الطابور لا تهاب أحد و لا تبكي و لا تشكي الغربة
نادى المعلم على الأسماء كلها و لم ينادي اسمها..
وقفت مكانها حتي انتهي المعلم و كتب كشف الفصل الأول و أخذ أطفال قريتها كلهم إلى فصل 1/1.
و ابتدأ في النداء على الفصل الثاني و انتهي و لم يذكر اسمها أيضا
تقدمت إليه ببطء و نظرت له لأعلي
مختارة: (ناظرة لأعلي) أستاذ..؟! أستاذ..؟!
المعلم : نعم ..من أنتِ (في ضيق)؟!
مختارة: مختارة يوسف سليمان..
المعلم : من بيت آل سليمان..؟!
مختارة : نعم .
المعلم : كيف لم الآحظ الاسم...؟!
و نادى على معلم آخر
معلم 1: ادخلها فصل 1/1
المعلم 2: كتبنا الأسماء بالقائمة..
ضعها الآن بفصل 2/1 وغدا نغير القوائم
المعلم 1: لا ضعها في فصل 1/1 حتي لا ننسى.. الأقباط جميعهم فيه.

المعلم2: وصلا توا مفتشان و طلبا القوائم التي انتهينا منها و في أيديهم الآن ..نضعها في فصل 2/1 .. لم ننتهي بعد من كتابة القائمة...

يوجد ثلاثة بنون و بنتان لا يعرفون أسمائهم .

المعلم 1 : ما اسمك ..؟!

الولد: توفيق

المعلم2 : اسمك و اسم أبيك و اسم جدك..

الولد : توفيق على محمود

المعلم 1: على محمود ...على محمود..

الولد : توفيق يا أستاذ

المعلم 2: الصبر يا ولدي... ها وجدته .. ؟!

المعلم 1: نعم اسمه أسامه

المعلم 2: انظر إلىّ يا ولدي اسمك أسامه على محمود

الولد : لا ..توفيق.

المعلم1 : يا ابني اسمك أسامه... الم يخبرك أبوك..؟!

الولد : لا اسمي توفيق..

المعلم2 : (ضاحكا) توفيق قف هنا.

المعلم 1: و أنت ما اسمك...؟!

الولد2: سعد

المعلم 1 : اسمك و اسم أبيك و اسم جدك.

لولد2: سعد عبد النور محروس.

المعلم 1 : اسمك عوض ملاك محروس. و أنت بفصل 1/1

الولد 2 : أنا سعد عبد النور.

المعلم 2: لا اسمك عوض ملاك محروس.

الولد2 : سأسأل أبي

المعلم 1 : اودعوه فصل 1/1 وعند عودتك لأبيك أسأله.

عوض : حاضر يا أستاذ.
المعلم 1: للولد الثالث.... أنت اسمك سالم حماد إبراهيم.
الولد 3: لا اسمي سليمان محمود عبد الستار.
المعلم 2: ادخل في الصف الآن هنا وعند عودتك للبيت أسأل أهلك.
العلم1: (للبنات) من فيكن فاطمة عبد المتجلي سعيد
البنت1: أنا اسمي فاطنه عبد المتجلي .
المعلم :2 تعالي هنا أدخلي في الصف..
البنت1 : اسمي فاطنه و ليس فاطمة..
المعلم 2 : أدخلي الآن في الصف ثم نتناقش لاحقا.
المعلم 1 و لم يتبقي سوي أنتِ ما اسمك
البنت :مارسيل سامي بخيت.
المعلم 1 : أنت بفصل 1/1 ما الذي ابقاكي هنا للآن أتذكر أني ناديت الاسم من قبل ..
مارسيل : انتظر مع مختارة.
المعلم2: إلى فصل 1/1 و غداً مختارة ستكون معك. بأذن الله
المعلم1 : خدها إلى فصل 1/1
و اكتب قائمة فصل 2/1
و غدا بإذن الله نغيرلمختارة الفصل الدراسي لتكون بالفصل الأول و نكتب قوائم الفصول.
المعلم 1 : مختارة أدخلي فصل 2/1.
و بدأ اليوم و تعرفت على البنات اللائي معها في الفصل..
و مر أول يوم و ثاني يوم و ثالث يوم و رابع يوم مرضت و غابت عن المدرسة.. و في اليوم الخامس عادت..
المعلمة تستخدم البطاقات لتعليم الحروف و الأرقام و اليوم سوف تعلم الحرف "ميم" و الرقم "5"
علقت المعلمة الحرف في إحدى زوايا الفصل ..

وسألت المعلمة من منكم يا أطفال يعرف هذا الحرف...؟! من يبدأ اسمه بهذا الحرف...؟!
مختارة : أنا يا أبلة..
المعلمة : ما اسم هذا الحرف؟
مختارة : الحرف ميم و يبدا اسمي به و اسم محمد و منال و مرسي و موسى و مريم
المعلمة : (في حالة من الذهول) من أخبرك..؟!
مختارة لا أحد أول يوم أنت عرضتِ علينا البطاقات و أخبرتنا أنه حرف "ميم".
المعلمة :ما شاء الله . حيوها... اجلسي يا مختارة.
المعلمة : من يكتب رقم "خمسة"...؟!
مختارة : الوحيدة التي رفعت يدها..
المعلمة : أنا شرحته لزملائك بالأمس و أنت كنتِ غائبة لم تريه أتستطعين كتابته..؟!
مختارة : نعم يا أبلة..
المعلمة أعطتها الطباشير و وقفت مختارة أمام السبورة و كتبت بخط صغير و ضعيف رقم "خمسة" و هي بالكاد تتنفس
تقدمت المعلمة وهحيتها و شجعتها.. وطلبت من الصغار حيوها فحياها الصغار.
الباب يطرق...
المعلمة : تفضل
معلم: أبلة هانم..؟!
أبلة هانم : نعم ..
المعلم: نريد مختارة تنتقل إلى فصل 1/1..
أبلة هانم : لا دعها لي هنا فهي الوحيدة المتميزة في هذا الفصل.
المعلم : من أجل حصة الدين..

أبلة هانم: سوف أهتم أنا بالأمر أخبر ناظر المدرسة أن يتركها لي.
المعلم : أمركِ أبلة هانم
ذهب و عاد بعد قليل بالموافقة..
جلست مختارة القبطية المسيحية الوحيدة بالفصل لا تعرف ما الفرق بينها وبين أقرانها .. و أثناء حصة الدين الإسلامي معلم المادة لا يعرف أن هنا طفلة مسيحية يعطي درسه ويسّمع لها الآيات و هي تحفظ و تسمع مع أقرانها..و يأتي معلم الدين المسيحي في حصة فراغه له و يصدف أن تكون أي مادة أخرى عندها..يستأذن المعلم الموجود أو المعلمة و يأخذها ..و يعيطها حصة الدين المسيحي.
تغير معلم الدين الإسلامي و جاء آخر يعرفها.. كان يشفق عليها من الخروج من الفصل من أجل البرد..فعلمها أن تجلس لا تركز فيما يقال بأن تفتح أي مادة أخرى تذاكرها أثناء حصته.
و بدأت مختارة حياتها الدراسية و حيدة من جيرانها..حتي انتهي الصف السادس الإبتدائي و التقت بأقرانها الجيران بالصف الأول الأعدادي..
كانت ضعيفة البنية و تشفق عليها زميلاتها حين يأتي الدور عليها للوقوف ، أو الجلوس قرفصاء على الأرض ؛ لأنه لا توجد مقاعد تفي بالتلاميذ...
و في أحد الأيام وجدت قطعة من الخشب في فناء المدرسة فحمتلها و لكنها سقط منها لضعفها فأخذتها منها زميلة لها و جاءت بالقطعة لها إلى الفصل الدراسي...و بينما تزيح المقعد جرحت يدها ..انزعج الأطفال لجرح يدها.. و كوّنوا فريق بقيادتها ...لإحضار مزيد من قطع الخشب و عمل فراغ بين كل مقعدين و وضع قطعة الخشب عليها و بذلك حُلت مشكلة تكدس الفصل بالتلاميذ و جلوسوا جمعيهم على مقاعد.

كانت تصحو من النوم صباحا و حدها أو على صوت إحدى نساء العم فتنهض منزعجة من النوم ؛ لأنها تأخرت...
تلبس الزي المدرسي و تغسل وجهها من "الزير " و أن لم تجد الكوب على "الزير" لأن إحداهن كانت تخبئه لئلا يأخذ من رائحة الصابون ، كانت تغسل وجهها من الإناء أسفل "الزير" الذي يكون بدرجة حرارة منخفضة جدا.
و تجري مع رفقائها بدون تناول وجبة الإفطار.
و لأنها همزة الوصل بين الجيلين ، حينما وصلت نهاية الحلقة الأولي من التعليم الإبتدائي كان جيل الأحفاد دخل المدرسة.. فكانت النسوة تقوم بتحضير وجبة الإفطار من أجل صغارها و تعطيها طعام من أجل العناية بالصغار..
كانت تعود من المدرسة مشيا على الأقدام الساعة الواحدة ظهرا لا تجد طعاما .. فتجبر على أكل الباقي من فطور العائلة و أن لم تجد تأخذ رغيفا جديدا من "مشنة الخبز" و هذا الفعل كان يغضب نساء البيت فهن يتعبن في الخبيز فكانت تجبر على أخذ أول رغيف و عادة ما يكون جاف جدا، فكانت تنتظر حتي تغيب العيون و تأخذ رغيفا طريا يصلح للطعام و أذا فكرت بإحضار قطعة جبن قريش أو قشدة كانت تجبر على أخذ الفاسد منها و قشط الطبقة الفاسدة وأخذ ما تحتها ، كانت تنتظر إيضا حتي تغيب العيون وتترك ما حدد لها من أواني وتأخذ من الجديد الصالح.
كانت تكتب الواجبات المنزلية الكتابية قبل خلع الزي المدرسي "المريلة"، و الحفظ منه تأخذ الكتاب في يدها و كراسة قديمة و قلم معها إلى الحقل ، تضع الكتاب على "الحد" (الحد: هو الحد الفاصل الذي يحدد مساحة الأرض و الملكية) ، تقرأ الجملة و تظل ترددها إلى أن تحفظها..

و كثيرا ما كان يعهد إليها بنقل التراب الجاف إلى خطيرة البيت فكان عم من أعمامها في البيت يضع نقلة "سباخ"(روث الحيوانات) على الحمار و تمشي هي خلف الحمار ليصل للحقل ، يستلمه عم آخر يفرغ الحمولة و يضع نقلة من التراب الجاف الآتي من تجريف الأرض على الحمار و يضع مختارة فوق نقلة التراب لتعود به إلى البيت و هكذا دواليك..
و ذات مرة غضب الحمار و أوقعها من على ظهره فنزلت في "خليج مياه: مصرف للماء الزائد من ري الحقول عمقه يصل إلى متر واتساعه يصل المتر أيضا
نزلت بقوة فأغشي عليها ..نزلت ..قدميها في الماء و رأسها لأعلي .
الحمار هرب ، لكنه عندما رأها فقدت الوعي ،عاد و وقف بجانبها يشمشم في رأسها ، و عندما رأي ثعبان آت إليها ليلدغها جرى الحمار إليه و قتله، و ظل بجانبها إلى أن رأى أحد الأشخاص آت حينئذ تركها و هرب.

و جدها جار لهم و وجد بالقرب منها الثعبان المقتول فظن أنها ماتت سحبها من "الخليج"، و وضعها على حماره و سلمها لأهلها ..
و ضعوها في الفراش مع التدليك في أطرافها و الضغط على صدرها إلى أن أفاقت من الغيبوبة..

الفصل التاسع

الدودة

انهت مختارة الصف الأول الابتدائي في وسط فصل الربيع وما أن انتهي الربيع وجاء الصيف جاءت أعمال "الدودة " لأطفال القرية والقرى المجاروة
لكل فدان طفلين ؛ كي يتنقوا اللطع: بويضات دودة القطن -من نبات القطن
العائلة أملاكها كبيرة ولا يوجد أطفال فقط فتيات بالغات ولا يصح أرسالهن إلى الدودة ،
منهن من خطبت ومن هن من تريد أكمال تعليمها
هذه الدودة التي أكلت في عظم أطفال المصريين حتي يكون إقتصاد البلد قوي
وفي الحقيقة أن كل مشاكلنا تعتمد علي هذه الدودة
أما نقضي عليها على حساب الطفولة
أو تتفحل فتقضي علي محصول القطن ومعه آمال الكثيرين
كانت مختارة ضعيفة لا تتحمل هجير الصيف
ومع ذلك لا يوجد بديل عن خروجها
تصحو من النوم في السادسة والنصف تغسل بالكاد وجهها وتجري مع باقي الأطفال عند مكان التجمع
تأخذ خطا من نبات القطن أي كان طول النبات وتنحني تقلب النبات للأمام ثم الخلف ثم لليمين ثم لليسار
بسرعة شديدة النظر في أوراق النبات من أسفل تبحث عن نقطة كبيرة بنية اللون تسمي (اللطعة)

إذا وجدت (لطعة) تصيح - لطعة - كأنها وجدت كنز لأن أخر اليوم سوف تحسب اللطع ومن سيكون الأول علي مدار اليوم وسيكرم عند حرق اللطع تكريم معنوي
كانت أمنية كل طفل الحصول على أكبر عدد من اللطع
هذه أمنيات طفل الريف أن يحصل على مجموعة من بيوضات الدود.
مجموعة الأطفال تسمي فرقة
وخلف الفرقة يوجد خولي يمسك العصا ويضرب من يهمل وتوجد خلفه لطعة
يوجد شخص مرفه وعادة ما تكون البنت الأكبر سنا أو الولد الأكبر سطوة في الفرقة ويدعي مفتش وهي وظيفة شريفة كبرى
هذا المفتش يأتي ويغدوا خلف أفراد الفرقة و إذا وجد لطعة يصرخ - لطعة - وهذا معناه الاستمتاع بعذاب أحد أفراد الفرقة بضربه لأنه أهمل عمله
كانت أشد لحظات لا تحبها مختارة هي وجود مفتش خلف الفرقة وخاصة إذا كان في حضور مفتش الزراعة
وذات مرة وفي وجود مفتش الزراعة وجودوا لطعة خلفها
اشفق عليها مفتش الزراعة وقال أنه من سيضربها وأخذ العصا من الخولي وجعل جميع أفراد الفرقة يقفون ولكن عيونهم في الاتجاه الأخر وضرب علي يده مرتين حتي يسمع الجميع صوت الضرب
ثم أمر بعودتها إلى منزلها
كان يعرف أن لديها عطب بالقلب
عادت مختارة للبيت و من في البيت أعادوها مرة أخرى للدودة
وقالوا لها عندما يقول لك مفتش الزراعة إلى البيت.. أجلسي قليلا حتي يغادر وعودي

كانت مهمة مفتش الزراعة هي التفتيش علي سير العمل وكم فدان في الحصة اليومية انتهوا منها ويعد عدد أفراد كل فرقة ويسجلها لئلا يزيد خولي الفرقة إعداد غير موجودةويتقاضي عنها أجرا .
كانت مختارة لا تحب أكل (الخبز الجاف)
وذات يوم غضبت لأن الخبز لم يكن طري بالشكل المطلوب
وعند ذهابها للدودة تم ضم فرقتين علي فرقتها من خارج الزمام
وعند فترة الراحة فوجئت بحوار بين طفلتين ليستا من الزمام
الطفلة :"هؤلاء الأطفال وهي تشير (إلى مختارة وأطفال قريتها)
هل تتخلين عندهم خبز كل يوم !
الطلفة الأخرى : هم أغنياء .
ذهلت مختارة من الحوار وتقدمت نحو الطفلة وأعطتها الخبز الذي بيدها فقالت لها الطفلة شكرا سوف نستلم النقود من الخولي اليوم وأمي اشترت اليوم كيلة دقيق وسوف تخبز اليوم وعند عودتنا للبيت سنجد الخبز طازج نأكل ونعطي النقود لأمي لتدفع ثمنه
هذا الكلام كان خارج استيعاب مختارة
معناه أن الأطفال لم تناول الطعام منذ يوم أمس ولا تتناول الخبز كل يوم.
تألمت كثيرا لهذا الحديث
هي خرجت مجبرة عن أرض العائلة وهوذا من خرجوا مجبورين للقمة العيش بكل ما تحمل الكلمة – لقمة العيش - من معني حرفي كانت إذا وجدت بصلة تتركها (البصل يزرع قبل نبات القطن ثم يزرع القطن بجواره وعند نضج البصل يقلع ويجمع وأحيانا تترك بصلة علي سبيل السهو)
في هذا اليوم أمرت جميع الصغار معها من يجد بصلة يحتفظ بها وفي نهاية اليوم جمعوا حوالي ستة كليوجرامات من البصل
أطفال قريتها يتعجبون منها لماذا تريد البصل

أخذت ما جمعه الأطفال وأعطته لتلك الطفلة التي كانت أكثر مرضا وأكثر هزالا منها. فرحت الطفلة كثيرا وقامت بتوزيعه علي باقي أطفال قريتها ..

كانت الصغار تخرج الساعة السادسة صباحا ليبدأ العمل في السابعة إلى الثانية عشر ظهرا ثم استراحة ساعة ويعودون للعمل من الواحدة ظهرا حتي السادسة مساء وإذا صادف صوم رمضان خفف العمل للخامسة مساء وكانت تصوم مع كل الفرقة .

وفي فترة الراحة يتناولون الطعام ثم يلعبون..

لعبة (الآل) كور صغيرة من الطمي يصنعونها ثم يتركونها بالشمس بضع أيام ثم يلعبون بها..

أو لعبة (النتشة) وهي مجموعة من أعناق ورق نبات القطن ومعها عنقان من نبات ورق التيل ؛ العنق الأول يُجرح أحد جوانبه من أوله لأخره وقيمة هذا العود بمئة والعود الآخر يجرح من منتصفه وقيمته بخمسين ، وتعتمد هذه اللعبة علي طرفين ..يأخذ الطرف الأول أحد الأعناق ويمسك بباقي الأعناق لأعلي ثم يطرحها على الأرض ثم يمسك بالعنق المفرد ويحاول رفع الأعناق كل عنق على حدة بحيث لا يتحرك أي من ألأعناق الأخرى وإذا نجح في تحرير أحد عنقي التيل يكون قد ضمن إلى حد ما الفوز وينتهي دوره إذا تحرك عنق آخر مع العنق المطلوب والمشارك معه يأخذ الدور وعند نهاية اللعبة يعد كل طرف كم معه من أعناق والذي معه الأكثر هو الفائز

وكثيرا ما كان تلتف الفرقة حول الخولي وهو يحكي قصة

وعند انتهاء وقت الراحة تنتهي سماحة الخولي ويعود إلى قسوته

مفتش الزراعة يؤكد على الأهتمام بمختارة خوفا من عائلتها

المفتش: أيها الخولي.. ابنة عائلة سليمان مسئولية كبيرة

الخولي : ولماذا هي بالذات يوجد الكثير مريض مثلها..؟

المفتش : نحن لم نعرف بالتأكيد من هم هؤلاء الصغار.. عوائل هؤلاء الصغار لا يملكون رفاهية الذهاب إلي الطبيب .
الفتاة تعرف بعلتها عند الولادة أما تلد بسلام أما تموت بعلتها..
ابنة عائلة سليمان معروف عنها علتها فوجب الحذر
الخولي : علم

وتنتهي الدودة بتكون اللوزة في نبات القطن وتبدأ أعمال بها دودة أكثر لكن الخولي من الأهل قد يكون أكثر قسوة أو أقل ويبقي أن الدودة كانت تعلم كيف يكون الانضباط و الأمانة كموظف حكومي

وعند انتهاء الصيف وبداية الخريف يجمع القطن ويتغيب معظم الأطفال عن المدرسة لجمع القطن.. فيضربون في اليوم التالي من المعلم بالمدرسة
ثم يضربون من الأهالي لأنهم ذهبوا للمدرسة في الصباح فيحاولون إنجاز العمل كاملا في فترة المساء فيضربون لعدم دقة العمل
وفي صباح اليوم التالي يضربون من المعلم لأن الواجب المنزلي لم يحل
وهكذا تسرب عدد كبير من أبناء الريف من التعليم
فهم يضربون علي أي حال
أما مختارة فكانت تكتب الواجب المنزلي قبل خلع الزي المدرسي (المريلة) و تأخذ معها الكتاب وتضعه في عبها مع القطن تنظر وتحفظ وإذا نسيت تخرج الكتاب تنظر ما فيه
ومن معها الأكبر سنا يساعدونها ويصححون لها والأهل لا يعولون عليها كثيرا في جمع القطن فهي مازالت صغيرة
وهكذا كانت متفوقة في الدارسة

وصنعت لها أمها عروس من بواقي القماش(دمية) ولم يكن أحد يملك هذه الدمية . ولما كانت هذه أمنية الكثير من الفتيات صنعت مختارة لنفسها دمية أصغر واسمتها الأبنة ودعت أسم الدمية الكبيرة الأم

وجاء حفل أعياد الطفولة

الطفلة الوحيدة التي تحفظ الأناشيد كلها بلحن صحيح ؛ هي مختارة لكن شعر رأسها عن ممشط انشغال أمها عنها دائما بالحياكة وتجهيز العرائس وجمع القطن وخلافه

وقف المعلمة حائرة هل تقدم هذه الطفلة ذات الرداء الجميل و المميز والشعر الغير ممشط (مختارة)

أم تقدم طفلة أقل في الملبس والحفظ مع شعر ممشط

تغدو المعلمة وتجئ قائلة خسارة يا مختارة.. خسارة يا مختارة

وانتهت إلى عدم تقديمها

أغضب ذلك مختارة وعند عودتها حكت لأمها فحزنت أم رأفت وخصصت لها إحدى الفتيات الائي يتعلمهن الحياكة معها بتمشيط شعرها يوميا. ووعدتها أن العام القادم ستكون هي نجمة الأحتفال

لكن المعلمة تركت فصل مختارة

ولم تعاد هذه الحفلة مرة أخرى

أطفال الفلاحين يعملون منذ نعومة أظافرهم ويجمعون أموالا تكفيهم طعام وشراب وملبس ومع ذلك فهم متهمون دائما بأنهم عالة على المجتمع.. بأنهم دودة قطن وهم بالحقيقة

دودة قزّ.

الباب الثاني
الفصل الأول

درس خصوصي جدا

مختارة الآن في علي أبواب الصف الثالث الابتدائي ومن حرص الأهل علي تعليم الأطفال أخذوها لمعلم كان جار لهم معلم رياضيات للمرحلة الثانوية ولشدة اتضاعه قبِل أن يدرس لها منهج الصف الثالث الابتدائي
فكان يشرح لها درس "القسمة "
أما هي فكرهت هذا الدرس؛ لأن الدروس الخصوصية لا يأخذها إلا الأغبياء فاقنعتها أم حنا أنها لم تأخذ هذا المحتوى بعد ..هذا استعداد للعام الدراسي الجديد فأقنعت ..
مختارة تعتز بنفسها وتثق في قدرتها علي الفهم فترفعت عن شرح المعلم
المعلم : هل تحفظين جدول الضرب الصغير
مختارة : لا
الأستاذ : أذهبي إلى البيت وعودي إليّ بعد حفظ جدول الضرب الصغير
مختارة : حاضر
عادت للبيت ووجدت النسوة جالسات
أم حنا : لماذا عدتي مبكرا
مختارة : لابد أن أحفظ جدول الضرب الصغير أولا
أم حنا أجلسي هنا ورددي خلفي

مختارة : وهل تعرفين القراءة والكتابة يا أمي أم حنا (زوجة عمها)
أم حنا : صه لو كان أبي مثل أبيك لكنتُ الآن وزيرة الإقتصاد رددي خلفي في صمت
مختارة : حاضر
أم حنا : 1× 1 بواحد
مختارة : صمت
أم حنا : لماذا لا ترددي؟!
مختارة: أردد في داخلي كما أمرتي
أم حنا : (ضحكت) رددي بصوت عال دون مناقشة
مختارة : حاضر
أم حنا : 1×1 بواحد
مختارة : تردد ثم ملت...
أعرف جدول واحد يا أمي أم حنا هيا لجدول اثنين
وحفظت مختارة جدل اثنين من أم حنا
ثم ذهبت إلى أم فاروق
مختارة :أمي أم فاروق (زوجة عمها)
أم فاروق : نعم
مختارة :أريد حفظ جدول ثلاثة
أم فاروق : حسنا رددي خلفي
ورددت مختارة وحفظت جدول الرقم ثلاثة
وذهبت لأختها أمل (ابنة عمها)
وحفظت منها جدول الرقم أربعة
وهكذا دارت علي جميع من في البيت
وفي الصباح التالي ذهبت للمعلم و أخبرته أنها حفظت الجدول
تعجب المعلم واستهزأ بها
وقال لها الخطأ بعصاتين حتي يرهبها فتتراجع

فوافقت وتعجب من جرأتها
وظل يسألها وهي تجيب إجابات صحيحة
ربت علي كتفها وشجعها وأعطاها الدرس
15÷2= ....
17÷2=....
20÷2=....
أجابت لا أعرف إلا الأخيرة = 10
فقال لها
الأولى15÷2= 7 والباقي 1
أجابت الثانية 17÷2=8 والباقي واحد
المعلم : حسنا اجيبي الأن عن هذه المسائل
واعطاها أمثلة كثيرة فأجابت بالإجابات الصحيحة
ولم يجد مثال يعطيها إياه كواجب منزلي
فأعطاها الواجب المنزلي من جدول الرقم 3
21÷3=....
14÷3=....
26÷3=....
وهكذا
وعند عودتها لم تفكر في الحل الصحيح
رغم عبقريتها وقفت عند الرقم اثنين
فأجابت21÷3= علي 2 = 10 والباقي واحد
14÷3=.... علي 2 = 7 والباقي صفر
26÷3=.... علي 2 13= والباقي صفر
وعندما ذهبت للمعلم في اليوم التالي
ذهل المعلم من النتيجة
فأمسك بها من شعرها وظل يصفعها على وجهها وجسدها

ويصرخ ويقول
كم في ثلاثة يعطي واحد وعشرين تجيب سبعة
والمعلم : وما العجيب الذي لم تفهميه
ظل يضرب فيها لمدة ربع ساعة حتي كادت أن تموت
أخذت كتبها وعاودت للبيت
وما أن وصلت لعتبة الدار الداخلية لبيت العائلة سقطت مغشيا عليها
جرى الجميع إليها ووضعوها في سرير وأفاقوها وبعد مدة عرفوا السبب
قامت أم حنا إلى المعلم بكل غضب
ونهرته نهرا شديدا ولامته على اسلوبه في التعليم
وقالت لانريد تعليمها ونريد حياتها
وأعتذر المعلم وأكملت الدرس معه
وبسبب هذا الدرس تعلمت أن تنظر لمسائل الحياة بعد عشرات السنوات
وقبل أن تخرج الكلمة من فمها تقيس مداها
وتفكر في عدد حلول للمشكلة الواحدة
هذا الدرس كان دراسا خاصا جدا

الفصل الثاني

عبقرية

تقدمت الأيام و أصبحت مختارة الآن في الصف الرابع ،
و المعلمون يتباهون بها أمام كل ضيف، و جاء أحد الضيوف للقرية وذهب للسلام علي المدرسة ومن فيها فأخبروه بها
وأراد رؤيتها فأتو بها من الفصل الدراسي.. إلى حجرة ناظر المدرسة
الضيف: ما اسمك..؟
مختارة: مختارة.
الضيف : سوف أقول لك فزوة إذا قدمتِ الحل ستكونين عبقرية كما قالوا
مختارة: تفضل.
الضيف: (عشرة و عشرتان و مثلهم مرتان و خمسة و ثلاثة و اثنان. كم المجموع)...؟!
مختارة: (أجابت على الفور) عشرة و عشرتان ثلاثون ،
و مثلهم مرتان ستون،
ثلاثون و ستون تسعون،
و خمسة و ثلاثة ثمانية،
وتسعون..
ثمانية وتسعون..
و اثنان..

الضيف : مائة
أنت عبقرية كما قالوا ستكونين في المستقبل مهندسة ، أن شاء الله.
معلم الحساب: نعم ستكون مهندسة، بأذن الله.
معلم اللغة العربية: لا ستكون أديبة بارعة ، و العلم عند الله.
معلم الدين المسيحي : ستكون راهبة ، يكتب لها الله..
معلم الموسيقي : أذنها موسيقية ستكون فنانة عظيمة يحفظها الله.
ناظر المدرسة : يبدو أنها لن تفلح في أي منها ، ستركِ الله ، يا ابنة عودي إلى فصلكِ .
معلم : لماذا يا أستاذ محمود تقول هذا ...لا قدر الله
الناظر: أحد أسباب تخلفنا ترجع إلى عدم توجية النشئ إلى المجالات الموهوبين فيها.
معلم الموسيقي : صدقت يا أستاذ محمود نحن لم نتعلم كيف نكتشف مواهبنا ...عندك انا مثلا درست القانون وأكتشف أخيرا موهبتي في الموسيقى ...
الناظر: كله قانون يا أستاذ حجاري هيا جميعا للعمل .
معلم الرياضيات : صدقت يا استاذ محمود كله قانون وكلنا في الأخير في الكانون (ضحك للجميع) .
الناظر : أنت مثلا مدرس رياضيات لكنك موهوب في الأدب .
مدرس الرياضة : أنا يا أستاذ محمود..؟!
الناظر :نعم مابين القانون والكانون كلنا مسجلون.
هيا هيا للعمل
والأبنة مختارة هذه ارجو أن تجد من يوجهها لموهبتها الحقيقة في السن المناسب كان الله معها ومعكم جميعا.
عادت مختارة و لاحظت منذ تلك اللحظة أنها لا تعامل مثل باقي التلاميذ

تعامل باحترام شديد من جميع المعلمين، الأمر الذي أثار حفيظة أحد الصغيرات فأوعزت إليها في طريق العودة من المدرسة للبيت بأخذ طريق أخر يمر بين خمائل الفاكهة و خاصة فاكهة اليوسفي..
الطفلة : مختارة تعالِ نسلك طريق الخمائل..
مختارة : لماذا؟
الطفلة :طريق مختصر..
مختارة : أوافق..
الطفلة : أمس وجدنا ثمرات أسفل تلك الشجرة أخذنا منها و لم يعترض حارس الشجر.
مختارة: حقا..؟!
الطفلة : حقا تعالِ لنأخذ اليوم..
مختارة : حقا..؟!
الطفلة : نعم تعالِ..
مختارة: لا يوجد ثمرات على الأرض.
الطفلة : خذي من الشجرة ..
اسرعي اسرعي
حارس الشجر... اجري... اجري..
جريت مختارة و خرجت على الطريق و انتظرت صديقتها.
الطفلة : أنت لصة أخذت ثمرات من الشجرة
مختارة :أاااانا... أأأا
الطفلة : أستاذ.. أستاذ (كان يمر مصادفة)
المعلم : نعم.
الطفلة: مختارة لصة أخذت ثمرات من الشجر دون علم حارس الشجر.
المعلم : أحقا مختارة..؟!
مختارة: (مرعوبة) لا... أنا لست لصة.

الطفلة : الثمرات في جيب (المريلة)..فتشها يا أستاذ..
المعلم: ماذا يوجد في جيب (المريلة)..؟!
مختارة: (في سرها ..إذا سترتني يا إلهي لن أسرق مرة أخرى في حياتي)..
هذا منديلي و منديل أخر
المعلم : (للطفلة) أنتِ تكذبين مختارة لا تسرق الحدائق ملك لعائلتها.
الطفلة : و لكن العائلة سملت الحدائق للحارس..
ترك المعلم الفتاتين و مضي...
ومضت مختارة مع الطفلة. رغم ذكائها الحاد إلا أن قلبها الطاهر لم يفطن إلى مكر البشر ولم يحوي على غيرة أو حقد.
أنتهي الصف الرابع وفي الإجازة الصيفية صارحت مختارة أمها أم حنا أنها لا تود إكمال تعليمها مثل قطاع عريض من أبناء الفلاحين علي الرغم من معرفتها لعبقريتها قررت عدم إكمال التعليم
سمعت منها أم حنا الكلام وصمتت
وفي المساء قالت لها تعالي لنشرب الشاي مع الأستاذ
ودار حديث طويل انتهي بالأتي:
أم حنا : هل الدكتور كريم من تلاميذك
الأستاذ : نعم وأكثر من خمسة وأربعين طبيبا أخر غير المهندسين والعلماء والمحامين والقضاة وجميع المراكز المرموقة بالقاهرة والزقازيق والأسكندرية وغيرهم
أم حنا : وفهيم الكلاف
الأستاذ : فهيم الكلاف كنت أساعده في المرحلة الابتدائية وكان ذكيا جدا لكنه أهمل درسه
أم حنا : هو يعمل كلاف في حظائر جميع الأطباء والمهندسين والقضاة
الأستاذ : نعم وبعضهم يعف عن سلامه

أم حنا : هل دعاك هؤلاء إلى بيوتهم
الأستاذ : كثيرا وهم يسكنون في بيوت تشبة القصور
أم حنا : الرب يوسع عليهم جميعا
الأستاذ : أمين
وبعد الحديث الطويل مع الأستاذ قالت أم حنا له
أم حنا: مختارة قررت عدم إكمال تعليمها يا أستاذ ما رأيك..؟
الاستاذ : حسنا دعيها للم (الجِلة) ومن الجائز أن تقوم متأخرة من النوم ويسبقها بنات عائلة كذا المتخصصون بلم (الجلة) وتتشاجر معهن على روث الحيوان فيتطعمنها منه. ونزوجها من فهيم الكلاف .
هبت الصغيرة وجرت إلى بيتها تلملم الأوراق البيضاء من الدفاتر القديمة وتعدها للمذاكرة
كان المعلم يعرف مدخله إلى عقل تلميذتة الصغيرة ..النظافة

الفصل الثالث

مهمة كبيرة

اليوم مختارة بالصف الخامس وفي صباح يوم الجمعة والعيد علي الأبواب ونساء البيت الصغيرات كلهن لا تريدن القيام بالطبخ اليوم ؛ لأن اليوم حسب جدول الطبخ مهمة أم رأفت وأم رأفت تقاولت على تجهيز عرس خارج القرية وقد أخذ المعلم إبراهيم نقود المقاولة وأرسل ليشترى كل متطلبات العيد ...
من سيقوم بهذه المهمة الثقيلة بدلا من أم رأفت..
مختارة تقوم بالطبخ وحدها وإذا فشلت وبالطبع ستفشل كي تعود أمها للبيت ولا تتقاول مرة أخرى
فى الأمس القريب طلب من مختارة طبخ وعاء صغير من المعكرونة تركت كوب الزيت في وسط الإناء موضوع على الكانون وسط الطيور الداجنة وذهبت ملبية لنداء رفيقاتها لتنظيف الكنيسة وعادت بعد ثلاث ساعات..
جاءت النساء الصغيرات من الحقل وجدن الكوب كما هو في الإناء والإناء ثابت على الكانون ؛ وكأن حارس كان يحرسه من الطيور الداجنة..
ونالت مختارة سيل من الانتقادات.. لسوء تصرفها
ها هي فشلت في إكمال وجبة.. فكيف ستكون في إعداد وجبة كاملة وبهذه الصعوبة . وكيف سيتصرف معها المعلم إبراهيم
هكذا خططت النساء الصغيرات ...
أخترن شيئا صعبا محشي (الشُكريا - السريس)

جهزوا كمية البصل و(– الطماطم) والخضرة اللازمة من المساء وفي الصباح تظاهرن بأن كلا منهن في عمل مهم بالحقل
مع أن تلك الفترة لا توجد فيها أعمال بالمرة في الحقل إلا (حش) نبات البرسيم.. استغلوا غياب النساء الكبيرات؛ كل منهن علي سفر لشراء بعض متطلبات العيد.
خرجت الواحدة تلو الأخرى إلى الحقل ونبهن على مختارة بإعداد العشاء في الميعاد المطلوب
جهزت مختارة الأرز سبعة أكواب ونصف من كوب الزير (حوالي سبعة كيلوجرامات ونصف على الأقل) وأحضرت الماء وجاءت بالبصل.
إبراهيم معها فقط
إبراهيم :هاتي لأنتقي لك الأرز وقطعي أنت البصل
مختارة: لا توجد أواني نظيفة يا أبي إبراهيم
إبراهيم : هاتي الأرز وأغسلي أنتِ الأواني
مختارة : حاضر
أحضرت الأرز لإبراهيم
إبراهيم : هذا الأرز كثيرا جدا
مختارة :هذه التعليمات
إبراهيم : إذا زيدي البصل للضعف والزيت للضعف والطماطم للضعف
مختارة : حاضر
وضاعفت كل شئ ما عدا (الطماطم) لا توجد (-طماطم) أخرى
وغسلت آنية واحدة وقطعت بها البصل ووضعت الزيت عليه وأشعلت (الكانون) وجلست بجوار الكانون وغلست أنية أخرى وقطعت بها (الطماطم) وثم جلست تغسل الأواني بجوار الكانون و تقلب البصل ..وتغسل الأواني ... وتجفف يدها بشرشفة كانت تضعها على كتفها ثم تقلب البصل ... وفي الوقت المناسب وضعت المصفاة

فوق وعاء البصل ثم وضعت بها (الطماطم) وهرستها فنزل الماء منها علي البصل المتبل و هدّأت النار واستمرت بغسيل الأواني وكل فترة تهرس الطمام وإذ ارتفعت درجة حرارة المصفاة استخدمت كوب الزير لهرس (الطماطم) حتي انتهت منها وأعدت (التسبيكة)...
عند إنتهاء (التسبيكة) انتهت من غسل جميع الأواني
جاء إبراهيم بالأرز مغسول لها فوضعته على (التسبيكة) وقلبته ثم افرغت الخلطة في إناء كبير
إبراهيم : قطعي الخضرة وانا سأسرس لك السريس (ورقة السريس بها نصل بطول الورقة يجب نزعه من الورقة لتحشى)
غسلت الخضرة وقطعتها ناعمة جدا وأضافتها علي الخليط ووضعت الملح والبهارت وبدأت في الحشي ولكن لون المحشي فاتح فجاءت بعلبة الصلصة المعمولة من الفلفل وسكبت علي الخليط حتي تجانس اللون .
الخضرة قليلة
قامت فجاءة خرجت خارج البيت ثم عادت
ولم يمر سوي عدة دقائق .. و خمس فتيات من عمرها تقريبا يدقن الباب ومع إحداهن مجموعة من ورقات نبات الثوم خضراء
أشار إبراهيم لهن بالدخول فدخلن وسلمن علي إبراهيم وقبلن يده
وبدأت الفتيات بالمساعدة و قطعت إحداهن ورقات الثوم وأضافت للخليط .
خمس فتيات يحشين والسادسة (أسماء) ترص بالوعاء هكذا أمرت مختارة

وجاء رأفت من الحقل فوجد مختارة ورفيقاتها يحشين
وكان معة كرنبة متوسطة الحجم.

فجاء بإناء نحاس خاص بسلق الكرنب وسلق لها الكرنبة وقطعها لها ولرفيقاتها
ثم جاء فاروق بحزمة من الخس وصار (يسرس) لها نبات الخس هو أيضا
والفتيات تحشي ما يقع تحت يدهن و أسماء ترص المحشي بكل فن وحرفية ... ومرت الساعة والفتيات تحشي
إلى أن انتهين من الأناء الأول ثم الأناء الثاني
رفع رأفت الاناء الأول علي الكانون ثم الإناء الثاني واوقدت مختارة النار عليهما ووضعت هي الماء والملح عليهما و فاروق كل عدة دقائق يهز الأناءين بعنف حتي يصل الماء لجميع النواحي إلى أن وصل الأناءان لدرجة الغليان ثم هدأت النار وكان رأفت يلف الأناء علي الكانون لها كلما أرادت ... وأخيرا خرجت رائحة المحشي ووصلت لبعد كليو متر وخرج رأفت و فاروق للحقل كأن شيئا لم يكن..
ثم سلقت مختارة إناء بطاطس كما أشار عليها فاروق
ووضعت عدة بصلات للشواء داخل الكانون كما أشار عليها رأفت

وأمرت الفتيات بإطعام الطيور وكنس البيت كله وترتيب الأسرة الغير مرتبة
وعند الانتهاء أمر إبراهيم مختارة بالخروج للعب مع رفيقاتها
عادت النساء الكبيرات ولم تجد أي من النساء الصغيرات بالبيت
من قام الطبخ واعد البيت ....مختارة
مختارة ما هذا الكلام .. مختارة تلعب بالخارج
أين السنيورة والغندورة والباقيات
وقبل العشاء عادت النساء الصغيرات من أعمال الحقل الوهمية فوجدن العشاء معد

كانت مختارة تحاول سكب محتويات الإناء الصغير علي صينية العشاء الكبيرة وضعت الصينية فوق الإناء وعكست الوضع ولكنها لم تستطيع رفع الإناء لسخونته فتركته مقلوب علي الصينية حتي يأتي الجميع...
وعندما أمر إبراهيم بالعشاء حملوا الصينية إليه والإناء مقلوب عليها رفع إبراهيم الإناء وإذ بالمشي مرصوص فوق بعضه بمنظر عجيب
وجاءت مختارة بالبطاطس ووضعتها حول المحشي وأطباق من عدة أنواع من(المقبلات) أتت بها من الجيران ... ليمون وفلفل ولفت ولارنج وجزر وخيار... مع البصل الأخضر
(البطاطس كما يحب فاروق ورأفت والبصل كما يحب إبراهيم)
جميع النساء وقفن باندهاش
نادى كل على زوجته ...
أرأيت طبخ مختارة..!
ضعف ما تطبخين وأجمل وأشهي مما تطبخين ويزيد عليه التنوع وطريقة التقديم الرائعة..
وفي أثناء الطعام وجد إحدهم رملة صغيرة بالطعام فصرخ غاصبا من التي انتقت الأرز ...؟!
رد إبراهيم ...أنا
غاصت النساء الكبيرات في خجلهن وتمتمن في أنفسهن للانتقام من النساء الصغيرات ...من أجل كبير العائلة الذي اضطر لفعل هذا العمل بعد العمر الطويل هذا ...كيف سيعتذرن للمعلم إبراهيم..!!!
وكانت إحداهن تأكل بغيظ وهي التي خططت لكل هذا؛ إذ برملة كبير (زلطة) تحت ضرسها فكسرته
ولم تستطيع البوح بلفظ
قامت من علي الطعام والجميع في حالة من الذهول
وصارت في العائلة مقولة أبعد عن مختارة لئلا تكسر لك ضرسا

وبعد العشاء نادى إبراهيم على مختارة
هل أطمعتِ رفيقاتكِ..؟
نعم يا أبي إبراهيم احتفظت بصينية صغيرة لكل منهن؛ كى أعطيها لهن
إبراهيم أحسنتِ.. اذهبي واعطيهن ..
أكلت النساء الكبيرات والغضب يملأهن من النساء الصغيرات
وأكلت النساء الصغيرات والغضب يملأهن بسبب توفيق مختارة
ولم تتجرأ إحداهن لتسأل مختارة كيف فعلتيها..
ولم تعد أي منهن تتنصل من عمل ما في الحقل أو البيت لئلا تلحق بها مختارة العار بها .
ولكن غيرن خطط التعامل للضغط علي مختارة حينما لا يوجد أحد بالبيت

الفصل الرابع
النجم الساطع

جاء أحد الأغنياء من إحدى القرى المجاورة ليأخذ أم رأفت كي تجهز ابنتة للعرس ودفع للمعلم إبراهيم كالعادة
وجاء بعربة (كارو) ليأخذ ماكينة الحياكة وأم رأفت واشترط هذه المرة أيضا أن يأخذ مختارة معه على فرس أحضره خصيصا لها
إبراهيم : مختارة لم تعد طفلة صغيرة لتصاحب أمها كما كان من قبل هي على أبواب الصف السادس الآن...
الضيف : أعرف .... أود شخصا ما يفهمني : منذ عودتي من القاهرة لا أجد من يتجادل معي ويتجاذب معي أطراف الحديث...
اشتقت لطريقتها العفوية وذكائها في تفنيد الأمور رغم حداثتها .
إبراهيم : نعم ...نحن السبب علمنا أبناءنا الطب والهندسة و الصيدلة وباقي العلوم ..وآبينا لهم السكن هنا فصرنا فقراء في العلم واغنينا المدن
خذها يومين فقط
ونادى
مختارة...
مختارة: نعم يا أبي إبراهيم
إبراهيم : اذهبي مع أمك ليومين فقط وعودي في الثالث .
مختارة :حاضر يا أبي إبراهيم.
لملمت أم رأفت ومختارة كل ما يحتاجانه وركبت أم رأفت العربة (الكارو) وركبت مختارة الفرس الخاص بها وسبقت أمها مع الضيف

وصلت لمكان الضيافة قبل أمها ببضع ساعات . فأستقبولها بترحاب كابنة البيت الغائبة ، وكانوا يحترمونها نظرا لمكانتها الخاصة عند صاحب البيت - كبير العائلة-
وأخيرا وصلت أم رأفت فقبولت بترحاب شديد بالزغاريد والغناء والرقص كعادة أهل الريف
الطعام معد فتناولوا العشاء وابتدأت النساء في الغناء في كل مكان وكل حين.... في الحقول والبيوت ...
نصبت أم السعد ماكينة الحياكة ودخلت مختارة مع الضيف إلى حجرة المكتب الخاصة به
جاء لها بهدية قطعة قماش فاخرة كعادتة
مختارة :شكرا يا عمي
المضيف : أرجو أن تنال استحسانك يا مختارة
مختارة : استحساني أنا....؟
المضيف : نعم...
محتارة : لماذا تأتي بي كل مرة في أعراسكم هنا ؟ ولماذا الهدية القيمة كل مرة يا عمي؟
المضيف : لانك نجمة
مختارة: أنا يا عمي ...!!
المضيف : نعم
مختارة : ألا تعرف ما يقول الناس عني..!
المضيف : أعرف .
لكنكِ ستكونين نجمة ..ونجمة النجوم.. سكتونين ملكة
مختارة: نجمة ..! وملكة..! أحب أفلام السنيما لكني لن أكون نجمة سينما
المضيف : لا تستبقي الأيام.

هيا للراحة غدا عندنا موضوعات كبيرة للمناقشة و إبراهيم لم يعطني الفرصة الكافية...
مختارة ذهبت للنوم وأم رأفت تقيس قطع القماش بيدها وتحدد القصات المناسبة لنوع القماش في عقلها و تأخذ مقاسات أفراد البيت وتحدد أي من قطع القماش يناسب الأفراد حسب المقاس ثم اللون
دخل الجميع للراحة وابتدأت أم رأفت في القص حتي لا تزعج أهل البيت بصوت ماكينة الحياكة
جاء المضيف واستدعي أم رأفت
المضيف : لماذا تعاملين مختارة هكذا بجفاء
أم رأفت : ألا تراها ..!
ليس لها زواج ونشكر الله على ذلك لو كان لها من سيتزوجها ...؟
المضيف : الذي خلقها سيرسل لها من سيتزوجها
أم رأفت : لماذا تهتم بها هل لها شئ..؟!
المضيف : لم اكشف بعد
أم رأفت : اكشف واخبرني
المضيف : تفضلي اكملي عملك وفي الصباح أخبرك
ذهبت أم رأفت وانهت ما بيدها ونامت ساعتين وقامت مع الفجر و هب معها جميع من البيت من تغني ومن تزغرد ومن تحلب الأبقار ومن تعجن ومن تخبز (الكعك والبسكويت للعروس) والرجال كل إلى عمله .
استدعي المضيف أم رأفت
المضيف : قولي لي ما اسمك..؟
أم رأفت : ليَ من العمر هذا مقداره معكم ولم تعرف اسمي بعد يا (باشمهندس جرجس)
جرجس: اسمك ليس بسيطة

كشفت عن نجمها فلم يكن اسمك بسيطة
أم رافت : نعم اسمي البسيطة
جرجس : انتظري بالخارج
جاء جرجس بالكتب والأوراق وبحث عن نجم مختارة بنت البسيطة فوجد نجمها لامع لكنه خفيف
خرج من حجرته وأخبر أم رأفت
ابنتك نجمها ساطع ساطع ساطع لكنه خفيف
أخذت أم رأفت الكلمات و فرحت بها حينا من الزمن ثم نسيتها أو تناستها كما كانت تفعل بكل أمور مختارة
وبعد تناول وجبة الأفطار أمر جرجس بإحضار مختارة
ركبا على فرسين وانطلقا وسط الحقول ليتناقش معها
جرجس: هل رأيت السنيما من قبل
مختارة : في أحلامي فقط
جرجس: وكيف عرفتي شكل السنيما لتقرري أنك رأيتها في أحلامك..؟
مختارة: في أفلام السنيما نفسها
جرجس: نعم
أعرف أن خالك عطا أهدى تلفاز لبيت العائلة
مختارة: نعم أهدانا التلفاز القديم (أبيض وأسود)
جرجس: هل تقرأين القصص...؟
مختارة : لا كل من أخوتي يخاف علي قصصة لكني أجلس معهم حينما يتناقشون فيها..
جرجس : طبعا أنت مغرمة بالتلفاز
ما آخر فيلم رأيته بالتلفاز ...؟
مختارة : لص بغداد
جرجس : نعم فيلم عظيم مبهر

مختارة : وما المبهر فيه ...؟
جرجس : ألا يوجد شئ مبهر فيه..؟!
مختارة : إذا كنت تقصد تحول اللص لكلب.. فنبوخذ نصّر تحول من قبل إلى حيوان
ولو كنت تقصد سفر اللص عن طريق الجني
سافر حبقوق عن طرق الملائكة لدنيال النبي
جرجس: (مذهولا) نعم لم الحظ من قبل من أين أتي صناع السينما الغربيون بهذه الأفكار
يوجد فيلم لا أعرف إذا كنت رأتيه أم لا
لم يذيعه التلفاز المصري بعد...
مختارة : من الجائز أكون قد شاهدته
خالي عطا يأتي بالأفلام حينما يزور الولايات المتحدة ونشاهدها فيديو
جرجس: حسنا فيلم سوبرمان
مختارة : نعم شاهدته
مأخوذ من صعود السيد المسيح وإيليا النبي للسماء
جرجس: (مبتسما) نعم .. معقول
وما هو الفيلم الذي ادهشك يا مختارة
مختارة :بدء الخليقة فيلم رائع
جرجس : والأفلام العربية
مختارة : تقصد المصرية
جرجس : أقصد العربية
مختارة : وأين هي؟! لا أشاهد الأ الفيلم المصري
جرجس : يوجد إنتاج عربي
مختارة : ولكني لا أرى أي أفلام سوي الأفلام المصرية
جرجس: حسنا وما هي الأفلام المصرية التي تعجبك
مختارة : نهر الحب

جرجس: لا يعجبك لص بغداد وتغرمين بنهر الحب
مختارة: نعم
جرجس : لماذا؟!!
مختارة : لأنه يلخص معاناة المرأة فهي ممنوعة من الحب
جرجس: ومن قال هذا... ابنتي تتزوج عن حب
مختارة : لانها ابنتك وقد وهبتها الحرية ...ماذا عن الآخريات..؟!
جرجس : من أين لك بهذه الفكرة ...؟!
مختارة : من يوم الخبيز والجلسة مع النساء أمام الفرن
من حرارة الفرن في الصيف يخرجن ما فيهن من غيظ
وفي الشتاء يخرجن ما فيهن من رضا

نادى أحدهم الغداء يا عمي تفضل
جرجس :هيا بنا للطعام.. هل أنتِ جائعة ؟!
مختارة : لا لكن لا يصح أن نضيع جهد الطباخات
جرجس : لا عليك هذه هي مهنتهن إذا أردتِ البقاء ...
مختارة : (مقاطعة) و حتي أنت تكيل بمكيالين
جرجس : (يضحك) نعم أكيل بمكيالين هيا للبيت وشد لجام الفرس وعدل مساره وكذلك هي وفي الطريق خرجت أفعي فجأة أمام الفرس الذي تركبه مختارة فخاف الفرس وجمح بها بأقصي سرعة وبسبب خفة جسدها لم تقع من عليه وحينما وقف الفرس أغمي عليها و فجرى جرجس خلفها بحصانه وأنقذها.وعاد بها إلى البيت.
وعند أفاقتها أتي بالطعام إليها بنفسه وجلس بجوارها إلى أن انتهت من الطعام أمسك بيدها ودخل بها إلى حجرة مكتبه واعطاها ثلاث كتب مترجمة لتقرأها وفي العرس القادم تردهم ويتناقشا فيهم
وفي الصباح التالي أمر بعودتها إلى بيتها كما وعد .

الفصل الخامس

مغفلون

إبراهيم يجلس في الدار الخارجية لبيت العائلة هذا البيت الذي يتكون من دارين: دار أمامية ودار خليفة
الدار الامامية: تتكون من أربع حجرات ، كل حجرتين متقابلتين ووسطهما دهليز ويفصل الدار الخارجية و الدار الدخلية باب . ومن بعد الباب علي أحد الجوانب حظيرة كبيرة يليها حجرة كبيرة للفرن وعلي الجانب الأخر خمس حجرات . هذا بالدور الأول
أما الدور الثاني فبه خمس حجرات قديمة وثلاث حجرات جديدة ومخزن لتخزين الحبوب وما شابه.
جدد إبراهيم البيت منذ مايقرب من اثنتي عشر سنة ليحل مشكلة الكثافة
وها هو البيت كل يوم ينقص عدد الأفراد التي تعيش فيه وتزيد المسافات بين الذين يعيشون به.
الشبان أتموا تعليمهم وهجروا إلى حيث وظائفهم
والأحفاد مازلوا خضر
والنساء الكبار كل يوم تزداد المشاحنات بينهن
والنساء الصغار أمتلك عليهن شيطان كلمة " اشمعنا"
وبدأن بالمقارنة والمجادلة
زمام الأمور ينفلت من يد إبراهيم
جلس إبراهيم ينظر ويتأمل
أهذا بيت سليمان !
وأنا إبراهيم لا أملك عشرين جنيها قوتا لمن تبقي في العائلة للتسوق

بما سأجيب في الصباح حينما تأتي من عليها الدور للتسوق ليس معي نقود...
السن أثر فيّ ولا استطيع الخروج في هذا الوقت
النهار كله انتظرت حارس العزبة كما وعد بإحضار مبلغ من المال وها هو لم يأتي حتي الآن

جاء العشاء فقام إبراهيم وصلي صلاة النوم مع سماع آذان العشاء ونادى
مختارة
مختارة :نعم يا أبي إبراهيم
إبراهيم : أذهبي إلى المعلم سيد وقولي له أبي إبراهيم يريد طلبه
شحاته: دعها يا أبي إبراهيم الليلة حالكة وهي فتاة سأذهب أنا إلى المعلم سيد
إبراهيم : لا .. هي من سيذهب لا يوجد فتيات في هذا البيت كلهم رجال
منصور: و إذا قابلها كلب من أي نوع ..؟
إبراهيم : إذا قابلتي أي خطر أذكري اسم الله بصوت عال وارسمي علامتك وسيري في طريقتك.
مختارة : حاضر يا أبي إبراهيم.
مشت مختارة بمحازاة الترعة حتي وجدت جذع النخلة الذي كان ملقي بين ضفتي الترعة ليكون وسيلة العبور
وعبرت من خلاله للضفة الأخرى ومشيت حتي وصلت لبيت المعلم سيد
نادت فخرج لها المعلم سيد متعجبا من أفعال المعلم إبراهيم ودخل للبيت ثم خرج ومعه لفافة ورق وأعطاها لها
سيد: انتظري يا ابنتي سأعاود معكي

مختارة : لا تتعب نفسك يا عمي أعرف طريقي
سيد : وأين ذهب جميع إخوتك الرجال في هذه الساعة
مختارة :كلهم بالبيت
فهم سيد قصد إبراهيم
سيد : سأعاود معكي
مختارة : ومن سيعاود مرة أخرى بك إلى هنا
سيد : (يضحك) أنتِ
مختارة : نعم ونقضي طوال الليل نوصل بعضينا حتي يشق نور الفجر الظلام
أتركك بالعافية يا عمي
سيد : وأنت من أهل العافية يا ابنتي
عادت مختارة وسلمت اللفافة لإبراهيم
أخذها واتجه إلى غرفته
وفي فجر اليوم التالي
خرج من حجرته وجلس بالدهليز الأمامي كعادته
وجاءت أم فاروق فاعطاها عشرين جنيها للسوق لشراء متطلبات البيت
وأخذ عصاته وخرج
كان له مجلس مفضل بجوار أحد السواقي جلس وما هي إلا دقائق وحضر المعلم سيد
سيد : صباح الخير يا إبراهيم
إبراهيم : صباح النور.. لماذا تأخرت اليوم ؟
سيد : كنت أصلي صلاة الفجر.. صلاتي قيام وسجود ليس كصلاتك السجود أولها ثلاث سجدات ثم تتلو بقيتها في أي مكان
إبراهيم: الصلوات كلها قيام وسجود.. وصلاتي الصباحية بها أكثر من أربعين سجدة أنا انتهيت من صلاتي مبكرا

سيد: تقبل الله
إبراهيم :منا ومنك
سيد : لماذا يا إبراهيم لا تؤجر باقي العزبة
إبراهيم : سأطرد الحارس المؤجر لها
سيد: ماذا تقول..؟! تؤجر عشرة أفدنة من مجموع تسعين فدانا وتريد طرد الحارس أيضا.
إبراهيم : الجيل الجديد يخشي من المؤجرين أن يركبوا الأرض ويوزعوها بينهم ونفقد ملكية الأرض للأبد..فاتفقوا جميعهم علي طرد الموجود بالأرض
سيد: هذا غير معقول يا إبراهيم..
هؤلاء الأولاد يجلسون علي مكاتبهم وفي وظائفهم ملوكا ولا ينقصهم شئ.. ماذا عن من الذين حرموا من التعليم..؟
إبراهيم : من لم يتعلم لا قدرة له علي زراعة العزبة بكاملها
وأنت تعرف أنها خارج نطاق هذه الناحية كلها
وليس لنا بيوت هناك
سيد : ابني يا إبراهيم بيتا واثنين و ثلاثة هناك
اجلب واحد الموظفين أو اثنين أو ثلاثة
لا يوجد أهم من الأرض
إبراهيم: لم يعد لي سلطان علي أحد
سيد : وكيف هذا ..؟ أنت مازلت الكبير
إبراهيم : كوني الكبير لا يعطني الحق في التصرف في مصائر الصغار
سيد: والأرض..؟
إبراهيم : هي لهم و لأبنائهم
سيد : ستظلم الذين هنا

إبراهيم : النساء تسعي للعزلة منذ عدة أعوام و قد قررت تقسيم الميراث علي الجميع
سيد : ماذا تقول يا إبراهيم....؟
إبراهيم : أم رأفت تحمل الحمل وحدها ولا أحد يشكرها وإذا شكرت أنا كرهوها
أم حنا تنظر لايراد ابنها الطبيب الذي لا نحصل منه علي شئ
كلفني زواجه أكثر مما دفعة للعائلة عشرة أضعاف.
وأم فاروق تريد هي الأخرى جمع أموال أبنائها في حجرها
وهكذا الباقيات
ناهيك عن الجيل الجديد الفلاحات منهن ينظرن للمتعلمات
أنني لم أؤثر علي أي منهن لعدم إكمال تعليمهن وكثيرا ما ضربتهن لأكمال تعليمهن ولكهن رفضن والأن يلومنني
ويغارن من المتعلمات
والمتعلمات فاهمات للتعليم علي نحو غير صحيح يرفضن العمل في الحقل وأعمال البيت كالحلابة وأطعام الحيوانات والطيور الداجنة
ويتعالين على الباقيات
وما بقي علي حاله إلا رأفت وفاروق وحنا لا يأخذهم الطمع
سيد : الله معك يا إبراهيم
ومن ستختار لتكمل مع بقية حياتك
إبراهيم : يوسف سأكون من نصيب يوسف
واسحق وموسى وعبد الله وقابيل وعبيد
كلا سيأخذ نصيبه
اسحق يسعي للمشكلات من جديد مع الجيران وما عاد بي طاقة لتحمله
وقابيل قليلا ما يأتي هنا
وعبيد وعبدالله تقريبا انقطعت صلتهم بالقرية

بقي موسى أنا بجانيه ومعه
ولكني سأعيش مع يوسف
سيد : الله معك
سأعاود للبيت هل تريد شيئا
إبراهيم : اشكرك.. الله معك
مضي سيد حزينا علي ما آل إليه آل سليمان
أهذا البيت الكبير... سيتفتت!!
أنها سنة الحياة علي أي حال...

الفصل السادس

متسول يمن

مختارة الأن في نهاية الصف السادس الابتدائي.. في آخر يوم للامتحانات زاد مصروفها اليوم فقط كي تحتفل بنهاية حقبة من حياتها.
وقفت أمام الحانوت واشترت زجاجة مياة غارية وشطيرة من الحلوي الطحينية .. هذان الشيئان هما مكافئة يطمح إليها كل أولاد الفلاحين ؛ لكن لا يصل إليها إلا المسعد
أكلت الشطيرة ووقفت تشرب من الزجاجة
وقف من بعيد متسول ينظر إليها
ظنت إنه يريد رشفة مما تشرب
فنادت عليه متخوفة من منظره
- هذا الزمام لا يخرج منه متسولون ولا يوجد فيه أطفال معوزة.. -
ومدت يدها بزجاجة المياه الغازية التي بها حوالي النصف
مد المتسول يده إليها وبها خمسون قرشا
مختارة : لا لا .. لا أريد نقود خذ أشرب
المتسول: يشير بما معناه خذي النقود مقابل الزجاجة
البائع : أنت يا ابنه لا تعطية شيئا
مختارة : (للمتسول) خذ وأشرب وأحتفظ بالزجاجة لا يهمك من البائع
المتسول يشير برأسه لا يريد ويشير لها بعينيه علي الصغار الذين بأسفل قدميها ويشتهون الشرب من الزجاجة
نظرت مختارة للأسفل لتجد ثلاثة صغار ربما بالصف الثالث الابتدائي

وفي عيونهم يتجسد الحرمان
وبينما هي تنظر وضع هو النقود بيدها ومضى
وحينما عادت من ذهولها لم تجده كان قد اختفي
بحثت في جيبوبها عن باقي النقود لتشتري طلبات أمها من خيوط وكلف .. لم تجد النقود كانت خمسون قرشا
ونظرت في يدها إذ خمسون قرشا
أي أن المتسول أنقذها من ورطة كبيرة
هم البائع بأعطاها باقي نقودها
فاعادتة إليه لشراء شطيرة واحدة من الحلوي الطحينية
واعطهتها للثلاثة أطفال وقالت لهم.. مشاركة
وأعطتهم باقي زجاجة المياة الغازية
وذهبت لمحل آخر تشتري طلبات أمها وظلت طوال الطريق تتلفت تبحث عن هذا المتسول فلم تجده
وذهبت وحكت لإبراهيم
بأنها لا تعرف كيف أضاعت النقود
فأخبرها أن النقود ذهبت مع ورقة الإجابة
وأخبرها بصفات المتسول
طويل ونحيف ويغطي وجهه بوشاح
أجابت نعم
وكيف عرفت يا أبي إبراهيم.. صمت ولم يجيب

الفصل السابع
و... لي حبيب هنا

كان عطا يعيش في منطقة قليوب أول مدينة بعد مدينة الجيزة على الطريق الزراعي إلى الإسكندرية ، لم يكن من أهلها لكنه اشترى قطعة أرض زراعية في عام 1961 حينما ترك مجال عمله الاساسي واتجه لتجارة السيارات .
ثم بنى بها قصرا (فيلا بالمفهوم الحديث) .
وتزوج في عام 1965 وأنجب أربع بنات وولد ..
ولدت ابنته الأولى في عام 1966 ثم الثانية في عام 1967 ثم مختار في عام 1969 ثم الثالثة في عام 1971 والأخيرة في عام 1973 ومع ميلاد الأخيرة اكتشف مرض قصور شديد بالكليتن لزوجته ...
ونظرا لمرض زوجته أم مختار اضطر أن يتخذ مسكن بوسط القاهرة لكي تكون قريبة من الأطباء والمشافي . ومع الأيام تحول القصور إلى فشل كلوي وتدهورت حالتها الصحية.
كان لها أمنية أن تحضر زفاف ابنتها الكبرى .
جاء عطا إلى القرية (إحدى قرى محافظة الشرقية) ليستشير أمه (التي كانت في زيارة طويلة لأخته أم رأفت) في زفاف ابنته وكان في أحد أيام شهر يوليو 1978وفي طريق عودته وهو في سيارته أشار إليه أحد الرجال (يركب على حمار)
فتوقف عطا
عطا: كيفك يا غنام..؟

غنام : (نزل من على الحمار وجرى نحو السيارة وانحني ليكلم عطا عبر زجاج السيارة) بخير نشكر الله هلا أخذتني معك إلى مدينة الصالحية .
عطا : تفضل (على مضض)
ركب غنام بجوار عطا
عطا : إلى أين يا غنام ؟
غنام: لا أعرف .. حيث يشاء الله .
وساد الصمت وسط تعجب عطا
غنام : أريد شراء سيارة يا معلم عطا..
عطا: (باستهزاء) ومن أين لك بالنقود ...؟!
غنام :النقود موجودة.
عطا : موجودة ...أين ...؟ وكم معك..؟!
غنام : لو أتيت معي أعطيك ثمن السيارة ويزيد
عطا : أين ..؟
غنام :القنطرة شرق ؟!
عطا: وما المانع أتي معك
غنام : متي ؟
عطا : اليوم
السيارة في حاجة للصيانة..
نتركها عند الأسطى عيسى الميكانيكي وصبيه كرم بالقنطرة غرب ونعبر للشرق ثم نعود آخذها واعود لبيتي
غنام: حقا يا معلم عطا ؟
عطا : حقا يا غنام.
وقاد المعلم عطا سيارته إلى القنطرة غرب.. وصلا المدينة.. وعلى الطريق العام وجدا ورشة الأسطى عيسى الميكانيكي الذي فحص السيارة وقرر.. السيارة تحتاج إلى صيانة و سوف تأخذ يوما كاملا .

فترك عطا سيارته بالورشة واتجه للقنطرة شرق مع غنام فغنام من هول الحرب أصبح يخاف كل شئ ...
أخذا تصريح المخابرات للعبور للقنطرة شرق وعبرا قناة السويس في (اللنش) البحري المخصص لعبور المشاة...
وهما في الماء أشار غنام لعطا إلى خط بارليف وكان يرتعد من الفرحة للعودة إلى بلدته ...
و صعد غنام على مقدمة (اللنش) الذي يتأرجح بشدة في المياه ويكاد يغوص أسفل المياه لكن غنام لم يكن يشعر باللنش.
كان بصره مركز على خط بارليف وقلبه يرتعش من الخوف والرهبة تارة والفرح تارة ... يريد أن يصرخ من الهلع أو من الفرح... مشاعر متضاربة داخله لا يعرف أي منها سيغلب على الآخر .
لخص كل هذه المشاعر في صرخة ..الله أكبر الله أكـــــــــــــــــبر الله أكـبر
ودموعة تسيل على خديه بغزارة ...وهو يقفر على مقدمة اللنش والناس تصرخ (حاذر..حاذر)
لكنه لم يسمع أحد..
كان يسب الأعداء ويهلل الله أكبر ...الله أكبر.... تحيا مصر ....وجيش مصر..... وشهداء مصر ..تسلم يا جيش مصر.. تعيش يا جيش مصر.
وحينما نزلا من اللنش البحري صار يسجد ويقبل الأرض الطاهرة وكلما مضي خطوتين ينحني ويسجد ويطلب من عطا السجود. وكلما رأى عسكري يجري ويحتضنه ويقبله ويقبل يده وأحيانا ينحني ليقبل قدمه فيمنعه العسكري..
وصار يهلل ويرقص ويصيح ....تحيا مصر.... وأرض مصر.... وشهداء مصر
إلى الجنة يا شهداء ...

إلى الجنة جميعا...
يا محمد يا حنا ...
وصار يذكر كل الأسماء
يسجد ويشكر ويذكر الأسماء....
ثم قال لعطا
أتعرف يا معلم عطا الأرض نعمة
الوطن كنز
لا تعرف ما قاسيناه هنا
سأحكي.. سأحكي لك كل ما دار
الرجل يهلل وعطا يتأمل
الشوارع والبيوت يظهر عليها آثار الحرب ويظهر من أسقف معظمها أسياخ الحديد بسبب ضرب القنابل... و واجهة بعضها مكسوة بالصماد أثر النار... و(الخنادق والدشم) بكل مكان
مشي غنام وعطا وسط الشوارع .... الأسلاك الشائكة وكميات كبيرة من الحديد تملأ كل الأماكن... الحفر العميقة في الشوارع مكان للخنادق ....والأشجار شبه جافة والسكون والهدوء يسيطران على المدينة كأنها مدينة أشباح...
وصلا إلى بيت غنام وسط حذر وتحذيرات من عدم وطأ أو لمس أي شئ من الحديد لعلها ألغام ...
رغم أن الحكومة المصرية طهرت المدينة من تلك الألغام قدر المستطاع ...
دخلا الحديقة وإذ ببعض بالملابس التي نشرتها أم غنام قبل الحرب مازالت على الحبال يظهر عليها آثار سنين الطل
دخل غنام إلى البيت..
ودخل حجرة بالبيت وحفر في الأرض وأخرج نقود ومشغولات ذهبية وأعطاها لعطا ...

وقال لعطا عدد كبير من السكان فعل هذا والأرض هنا كنز من كل نوع
خرج عطا يتأمل المدينة تجول حتي وجد مجموعة من الرجال تجلس على مقهى .
القى السلام فقاموا جميعهم للتحية وقال لهم أخوكم عطا تاجر سيارات من قليوب
رحبوا به ترحيبا شديدا ..
وتعرف عليهم
فريد فكري ،
سلامه مكاسي ،
فؤاد إبراهيم ،
حسني سليم ،
حنا جرجس ،
وميلاد فكري.
وما أن جلس وجد أحد الرجال قادم من بعيد يقول:
أهذا المعلم عطا غير مقعول...
ويأخذه بالأحضان ويقبله
مرحبا بك معلم عطا ..
لن ننسي جميل عائلتك:
فتحتم لنا بيوتكم ، واقتسمتم معنا اللقمة الواحدة ، سترتم نساءنا ، وجبرتم كسرنا وضمدتم جراحنا..
حينما ذهبنا اليكم في النكسة.. ما وفرتم شيئا كل الشكر لكم .
عطا : لا شكر على واجب يا محمود كان هذا الواجب..
وجرحكم جرحنا وكسركم كسرنا ..والأرض عرضنا جميعا.
عشتم معنا نعم الناس وتزوجنا منكم وتزوجتم منا وأصبحنا أهل
محمود : نعم ... ونِعم الأهل.

المبيت عندي الليلة .
عطا : من أخبرك بوجودي...؟
محمود : كرم الميكانيكي قابلته باللنش واعتذر لإصلاح سيارتي لأنه مشغول بإصلاح سيارتك هو يجهز ورشته الخاصة هنا وقريبا سوف يفتتحها...
عطا : وكيف للأسطى عيسى ترك سيارتي لصبيه..؟!
محمود : لأنه يحبك ؛ الأسطى كرم شاب عبقري وسيكون له مستقبل باهر بهذه الصنعة إن شاء الله .
جاء غنام وسلم على الجميع بحرارة
وجلسوا جميعا على مقهي المثلث
عطا : سمعت كثيرا عن ويلات الحرب لكن رؤي العين شئ آخر .
وقضي عطا ليلته في ضيافة محمود هو وغنام .
وعاد لقليوب وحكي لزوجته وصرح لها برغبته بنقل نشاطه للقنطرة غرب والسكن بالقنطرة شرق ...
عطا مل من قليوب ويريد مكانا جديدا بعيد عن القاهرة.
مل كفالة الشبان بسبب موقع قليوب وقربها من جامعة القاهرة . ولا يوجد جامعة بالقنطرة أو قربها..
ومدينة القنطرة غرب على وشك صدور قرار سياسي بأنها ستصبح حيا تجاريا
فما المانع من فتح صالة تجارة سيارات كبيرة بالقنطرة غرب وبناء فيلا بالقنطرة شرق والأراضي هناك بوضع اليد .
ومنطقة سيناء عطشي لإقتناء السيارات .
وتجارة الحديد الخردة رغم مخاطرها ستكون مربحة
وأيضا التجارة في مجال البناء والترميم
أو مجال الأغذية ...
ومقابر سيناء بخيرها .

وثمة تجارة جديدة على الأبواب لا مدخل لها إلا حدود سيناء سوق مفتوح مربح في كل الأحوال...
أم مختار زوجته ظلت ترفض لمدة عام إلى أن وافقت شريطة أن ترى المدينة أولا وفي نفسها جاءت تستقصي عن أخيها الذي غاب في الحرب ... لعل أحدهم يعرف عنه شيئا ...
وجاء بها إلى القنطرة شرق وكان شهر يوليو العام1979 وعبرا إلى المدينة في اللنش البحري ومعهم جمع من الناس إحداهن لخصت مشاعرها المتضاربة ما بين خوف وفرح ولهفة للعودة إلى بلدتها بزغرودة .
و كان باللنش الأستاذ فريد فكري الذي رحب به.. وما أن علم بسبب زيارته أخذه إلى منزله .. لم يمضي على زواج فريد ثلاثة أشهر وعروسه بالبيت .
نزلوا من اللنش ومشوا على أقدامهم .... أم مختار مذهولة من هول منظر المدينة ...
مالت إلى عطا وهي تستند إليه :
ما هذه المدينة التي تودنا سكناها أنها مدينة أشباح....؟!!!
مال عليها وقال لها : لا تقرري شيئا قبل انتهاء الزيارة .
قطعوا عدة شوارع ثم دخلوا شارع جانبي..
طرق فريد الباب الرئيس للبيت ثم فتح باب حجرة الضيافة المطل على الشارع الذي لا يغلقه إلا ليلا ...
ادخلهما بكل ترحاب ونادى.....
نادية.... أنا حضرت ومعي ضيوف...
وكما تعودت منه أجابت حاضر..
وكانت توا قد انتهت من إعداد طعام الغداء ودخل فريد لها من الباب الداخلي لحجرة الضيافة.
قابلته ببشاشة حمدالله على السلامة..

هل وجدت كل المطلوب؟
فريد : نعم تفضلي.
نادية : كم شخص بالخارج؟
فريد : المعلم عطا وزوجته.
نادية: زوجته ..!! ولماذا تتركها وسط الرجال ..؟!
فريد : لا يوجد رجال فقط هي و زوجها تعالي رحبي بها.
دخلت نادية إلى حجرة الضيافة مرحبةً..
ألف أهلا وسهلا ... يا مرحبا... يا مرحبا حلت البركات حبيبتي..
وسلمت على المعلم عطا..
واستاذنت وأخذت أم مختار بيدها ودخلتا لداخل البيت..
ونادت ..
فريد كم شخصا اليوم...؟!
فريد : حوالي عشرة .
نادية: حاضر.
أم مختار : عشرة من ماذا يا مدام نادية ...؟!
نادية : ناديني نادية... عشرة رجال سيتناولون طعام الغداء اليوم من القادمين إلى القنطرة وليس لهم مبيت أو أهل.
أم مختار : أتخدمين كل هذا العدد كل يوم ...؟!
نادية : نعم بركة كبيرة ...الرب يقبل من يدنا.
أم مختار : وهل هذا العدد ثابت كل يوم...؟!
نادية : لا أحيانا يصل للعشرين وأحيانا ثلاثة.. يأكلون ثم ينصرفون كل إلى مكانه ومن ليس له مكان يبيت في الحجرة للصباح والرب يدبر ويحصل على مكان ويرتبه ويأتي بأهله.
أم مختار: من أين أتيت عروس...؟
نادية: من مدينة الزقازيق .

أم مختار: وكيف تدبرت أمرك ووافقتي للأنتقال إلى هنا من المؤكد أنها قصة حب طويلة .
(ونظرت باستغراب إلى صورة السيدة العذراء على الحائط)
نادية : (لاحظت النظرة) أختك نادية ميلاد بسطا أول عروس تدخل القنطرة شرق بعد التحرير... أنا من هنا أبا عن جد .
أم مختار: من هنا ...؟!!
نادية: نعم ومع اغتصاب الأرض لا يوجد قصص حب . توجد قصة حب واحدة للأرض فقط .
أم مختار: إذن عاينتِ الحرب
نادية : بالتفصيل ...
أم مختار: احكي لي
حاضر أعطني وقت لتجهيز مائدة الرجال وأطعامهم فهم على جوع من الصباح ؛ لأنهم موظفون في مجلس المدينة ولا توجد محلات لبيع الطعام وعند غسيل الأواني ساحكي لك ...
جهزتا المائدة التي كانت لخمسة عشر رجل وجهزتا الشاي للرجال وبعد انتهاء الرجال من الغداء والشاي ..
تناولتا الغداء والشاي وجلستا على ترومبة المياه بحديقة البيت...
نادية تغسل الأواني وأم مختار تساعدها في جلب المياه بإدارة الترومبة ..
نادية: (وهي تصبن الأواني) كانت منطقة وسط لبلد في القنطرة شرق قبل عام 1967 منطقة راقية ، البنايات كلها على الطراز اليوناني كما رأيتِ وكانت الوانها جديدة ولامعة ...
وما بين الأرصفة أشجار الزينة شديدة الخضار..وأعمدة الأنارة العالية وبها الفوانيس الجميلة..

أما منطقة السكة الحديد فكانت مباني فخمة (فلل) على الطراز الفرنسي في منطقة الغطوس وكانت مخصصة لكبار موظفي السكة الحديد ...
(تشير لأم مختار بتشغيل الترمبة)
كان كل بيت خلفه أو أمامه حديقة فيها مكان للجلوس و حولها سور مصنوع من خشب البغدادية ...ويغطي خشب البغدادية أشجار اللبلاب أوالعنب أواللوف ...
و الحديقة بها جميع أنواع الفاكهة مثل هذه الحديقة وفي كل حديقة بئر خاص مثل البئر هناك (وأشارت الي بئر ماء في مرحلة التجديد).
وفي الحديقة أيضا حظيرة صغيرة بها جميع أنواع الطيور الداجنة كتلك التي هناك .
والجاليات الأجنبية تعيش هنا معنا معظمهم من الجالية اليونانية والجالية الفرنسية...
في عيد الميلاد المجيد كانت تتزين القنطرة شرق كلها بالزينة الجميع يخرج ليزين الشوارع ...
وفي عيد الاضحي المبارك يخرج جميع الرجال لذبح الأضاحي وجميع النساء تتولى الأضاحي بعد الذبح من تقطيع وتنظيف وطبيخ وتوزيع...
والكل يحتفل بالعيد .. أي عيد ...
كانت القنطرة شرق منطقة حرة يأتي القطار بجميع البضائع من غزة مثل الياميش وكافة أنواع التسالي وزيت الزيون وأنواع الصابون الفاخرة والملابس وكافة البضائع...
لذا جذبت القنطرة شرق من جميع أنحاء جمهورية مصر العربية البسطاء ممن يسعون للرزق...

فتكونت منطقة عزبة الصفيح وعزبة الصحة وعزبة العربجية فكانت للنازحين من ربوع أرض مصر من البسطاء . البيوت والاثاث والنفوس بسيطة وقانعة بما لديها في هذه العزب .
يأتي الليل ...
تتزين المدينة بالأنوار..
- كنت أشعر بهذه المدينة وكأنها التاج يزين أرض مصر كلها – وكأن مصر ملكة الكون . أنها ملكة الكون.
وفي الليل أيضا تجتمع فتيات كل طبقة للتعلمن فنون الحياكة و(كانت ماكينة الحياكة جزء من كل بيت) والتطريز والتريكوه والكورشيه وتتبادل الخبرات في فنون الطبخ وعمل الحلويات...
لم يكن يوجد منطقة بها محبة وترابط على سطح الكرة الأرضية مثل القنطرة شرق .
كانت - حوانيت - البقالة منتشرة مثل التركي وجورج بسطا وعم نصيف وعم وهبة.
و محل المثلجات محل عشم
والحلاق عم إبراهيم والأسكندر
والجزارين مثل عم سليمان الفحام
أما عن السمك فجميع الرجال تخرج للصيد من قناة السويس جميع أنواع السمك بحسب ما يرزقهم الله ومن لم يرزقه الله يشتري السمك من القنطرة غرب ....
وكان يوجد سينما و كانت باسم سينما ثابت..
مجتمع الجاليات كان قطعة من مجتمع الإسكندرية ،
ومجتمع المصريين البسطاء كأي مكان آخر في ريف مصر
كان بها عدد سكان لا بأس به ،
(واشارت بتشغيل الترومبة)

الناس كلها تعرف بعضها..
حدث الهجوم على سيناء في أول يونيو وأي منا لم يكن يتوقع وقوع هذه الكارثة في القرن العشرين ....
بدأت الحرب فأعادت إلى الأذهان العدوان الثلاثي الذي حدث عام1956 حضر الصهاينة إلى حدود البلدة هنا وأصبح الناس في حالة هلع..
هرب من هرب من الناس إلى الضفة الغربية وسرعان ما عادوا بعد انتصار مصر حفظها الرب وحفظ جيشها العظيم..
حينما بدأت الحرب الأخيرة في الأول من يونيو 1967 حفر الناس في بيوتهم و واصلوا الليل بالنهار لدفن النقود والمصوغات الذهبية والأواني وأطقم الصيني وتركوا البلدة قبل الخامس من يونيو وبقي فقط حوالي مئتين أسرة
أم مختار : ولماذا دفن الناس مقتنياتهم؟
نادية : لانهم كانوا يثقون في جيشهم أنه حتما سينتصر .
كان يأتي علينا الجنود والضابط المصريين مجروحين وأرجلهم بها تورم عائدين من ويلات الحرب ...
كان أبي يخرج الظايا من أجسامهم و يطببهم وننقع أرجلهم في الماء بالملح ..... وبعد وصول الأعداء هنا ... كنا نلبسهم من ملابسنا ونهربهم من منطقة الليدو في مركب صغير وكان الفدائيون يأخذون عناوين كل من يهربوه...
في عصر يوم الخميس الثامن من يونيو فوجئنا نحن بالصهاينة في الشوارع
خرجنا جميعا رافعين أيدينا في حالة الاستسلام والذهول يسيطر علينا..
فتشوا بيوتنا وعرضوا علينا مغادرة القنطرة في سلام فرفضنا وعودنا إلى بيوتنا..

في البداية كانت الحرب شديدة والضرب من كل أتجاه..
جاءنا رجل من العريش يحمل أمه مشيا على الأقدام فاويناه ، وحدثت غارة فحملها إلى المخبأ معنا وإذ بظية تصيبها فتموت... دفناها معه ونحن نبكي
(تشير لها بتشغيل الترمبة)
(سمع غنام بقدوم عطا فجاء ليرحب به وسمعت نادية صوته وهو بالخارج)
ذات مرة وأثناء الضرب جري غنام (الذي تسمعين صوته بالخارج) ليختبئ من شدة الحرب فنزل في حفرة وغطي رأسه بيديه فترة طويلة وعند إنتهاء الغارة أحس بأنفاس كثيرة ودفيئة بجانبه ونظر وإذا بأكثر من عشرة كلاب برية بجواره ... مسكين أصابتة الدهشة من هول الموقف وليس غنام وحده الذي أصيب بالدهشة ...
(أم مختار مازالت مذهولة)
نادية: صبي الماء يا أختي كدنا أن ننتهي من أواني الغداء وبعدها نعد العشاء ...
أم مختار : وماذا حدث بعد هذا....؟!
نادية : في بداية الاحتلال نفذ الطعام ففتحنا البيوت المجاورة لنا نحن وجنود الاحتلال وأخذنا الزيوت والبقول والدقيق وغيرها وبعد ورود المؤن أغلقنا البيوت بالأقفال وكتبنا علي كل بيت اسم صاحبه ولم نسمح لأحد بوضع يده علي بيت أحد.
ظللنا هنا عامين كاملين والحرب دائرة..
نتقوت من قوت الاحتلال فلا نجد فيه أي طعم إلا طعم المر والذل .
بعد العاملين أمر الحاكم العسكري أن نرحل إلى الضفة الغربية فرفضنا .
أم مختار : لماذا؟

نادية : كنا نساعد الجيش المصري باستقبال الفادئيين من الجيش وتنفيذ عمليات انتقامية من العدو ونتستر عليهم ونهربهم مرة أخرى للضفة الغربية..فأحتار الحاكم العسكري فينا ..إذا انتقم منا ستلاحقه جميعات حقوق الانسان..
ولما لم نوافق على المغادرة أخذونا إلى مدينة العريش..
اعطوا لكل أسرة فيلا وحولها حديقة ..
ووفروا عملا للرجال..
وظلننا هناك لمدة عامين آخرين..
أم مختار: وهل كانوا يوفرون لكم الطعام؟
نادية: الطعام والملابس وكافة شئ.
أم مختار : والأدوية..؟!
نادية كانوا يعتنون بنا عناية فائقة..
حدث يوما في العامين الأولين أن الصغار اجتمعوا للعب في المكان المسموح لهم باللعب فيه وهو استراحة أحد مهندسين السكة الحديد بجوار الكنيسة..
كانت كل حديقة لهذه الاستراحات بها عدد من المراجيح و وسائل الترفيه .
اجتمع الصغار و وجد طفل منهم قنبلة كانت على هيئة معلبات..
فظن الصغير أنها علبة (بولوبيف) أو شيئا من هذا القبيل..
أخذها منه أحد الأطفال الأكبر منه وقال له ضعها جانبا الآن ومتي عدنا خذها...
انتشر الأطفال علي المراجيح المختلفة ومنهم من يجري خلف الآخر ومنهم من تسلق شجرة المانجو ومن تسلق شجرة والتين و من نام تحت تكعيبة العنب وصاروا يلعبون ويمرحون ...
الطفل الذي وجد القنبلة خشي أن يأخذها آخر فاحتضنها وهم بالرجوع للبيت ...

قابله أحد الكبار وسأله عما في حضنه فأخبره ..
فقال له هذه خطر لعلها منتهية الصلاحية وتسبب لك ولأسرتك المرض فما كان من الطفل إلا أن أعطاها للرجل الذي قذفها بعيدا..
فأنفجرت انفجارا كبيرا هز القنطرتين..
فجاء الجنود وأخذو المصابين وعالجوهم ومن احتاج لعمليات جراحية سافر إلى تل أبيب .

أم مختار : هل كانوا يتعرضون أو يغتصبون النساء؟
نادية : ابدا لم يحدث. و أذا صادف أحدهم إحدنا في الطريق دار بسيارته حتي لا يتقابل معها
لم يتعرضوا للنساء قط أو يغتصبوهن..
لكنهم اغتصبوا الأرض.
والأرض عرض .
كان عدوهم الفدائي واللص ... غير ذلك كان يعامل بإحترام.. خوفا من منظمات حقوق الأنسان
أم مختار : ولماذا غادرتم..؟!
نادية : غادرنا لمحبة الوطن..!!
الحياة ليس لها أي طعم وأنتِ بين الأعداء. كنا هنا كي نحافظ على مدينة القنطرة شرق تاج مصر المسلوب وأضطررنا للهجرة منه عنوة . وهناك في العريش كنا نسكن في غير ممتلكاتنا ...
الأعداء قالوا لنا لا تغادور... لن تجدوا الفول (الحاف) في مصر مصر بها مجاعة ...
لكننا عدنا
فضلنا المجاعة على طعامهم وعند عودتنا وجدنا مصر بخير وستظل دائما بخير..
و كنا نعي تماما ما سوف نعامل به .

أم مختار : وكيف كانت المقابلة من الجانب المصري ؟
نادية : احتجزتنا المخابرات المصرية واتهمتنا بالخيانة والعمالة وطبعا هذا منطقي كنا نعيش مع العدو لمدة أربع سنوات ..
وكان علينا أن نثبت أننا وطنيون . ولم نخن الوطن ابداً
أم مختار : وكيف أثبتم الأمر ؟
نادية : أخبرنا المخابرات المصرية بما كنا نفعل للجنود والضابط المصريين وكيف كنا نخبئهم تحت الأسرة وأخبرناهم بعناوين الجنود والضباط اللذين ساعدناهم في الهروب ...
فأتوا بهم وأقروا أننا ساعدناهم و أقروا أيضا أننا وطنيون .
وأيضا أخبرناهم بأسماء الجواسيس التي ضعفت أنفسهم وانضمت للأعداء وأننا نحن اللذين ساعدناهم في جلب هؤلاء في أجولة لهم على شط القناة حتي يعبروا بهم للضفة الغربية ...
وعند التأكد من وطنيتنا أكرمونا وأعادوا الموظفين منا لوظائفهم بعد أربع سنوات من الأنقطاع عن العمل .
ووفروا لنا أماكن في المدن التي أخترناها .. حضن الوطن لا يوجد أحن منه ..
أم مختار : الخراب قبيح و أرجوا أن يعمر الله بكم ..المدينة منظرها كئيب ... الشوارع بها حفر ضخمة والبيوت بها هدد وآثار الحرب واضحة .
نادية: ربنا يدبر ....الذي أرسل النصر بالجيش المصري يرسل العماربيد الشعب.
أم مختار : يبدو أنه هناك ضيوف من النساء ....
نادية : أنهما أمي وأختي وديعة.. تعالي يا أمي أنا هنا..
سلمت أم مختار عليهما وأتجهت الأم إلى الدار..
أم مختار : وهل أمك وأختك كانتا معك ؟!
نادية :نعم

أختي وديعة ميلاد هذه حملت قنبلة هي وأمي ..
وسارتا بها مسافة كبيرة ؛ لأن القنبلة وقعت في خندق وبه أكثر من ثلاثين نفس ولم تنفجر .
فحملتاها إلى منطقة تسمي وراء الجبل وخاطرتا بحياتهما لتنقذا الأرواح
أم مختار: ألم تخافا أن تنفجر ؟!
نادية : صعيديات لا تخشين شيئا (وهي تتفاخر وتضحك)
هيا يا وديعة لنعد العشاء...
وديعة : حاضر ... هاتي لأقشر البطاطس وأنقي لكِ الأرز مثل كل يوم
نادية : لا يا وديعة اوصلي أم مختار إلى أمك وأعطيهما الأرز والبطاطس وتعالي أنتِ لملء الأواني بالماء.. الماء على وصول..
وديعة : حاضر
أم مختار: أي ماء..؟!
نادية : الماء النقي لا يأتي إلا ساعتين صباحا وساعتين مساء نملأ أوعية للشرب والطبخ والباقي من الترومبة
أم مختار: سأساعد في ملء الماء..
نادية: لا مانع ...
اخبري فريد يا وديعة أننا نريد عدد أكبر من أواني الماء (جراكن) ؛ لأن عدد الضيوف يزيد يوم عن يوم والأسر بدأت في الزيادة ومنهم من يأتي لطلب الماء للشرب.
ذهبت وديعة إلى فريد وبعد حوالي نصف الساعة جاء فريد بالمطلوب من أفراد الجيش المصري.
وبينما كانت نادية تحكي لأم مختار..
كان غنام يحكي هو الآخر لعطا للمرة الثانية في حجرة الضيافة..
غنام : حدثت الحرب و ظللت هنا خمسة وعشرين يوما وكان الصهاينة يضربون الجنود بعنف و بحكم بدويتي كنت أركب الجمل

وأشد إلي الصحراء لأجد جثث الجنود المصريين أعداد أعداد منتشرين فكنت أقضي اليوم بطوله أدفن فيهم في الصحراء...
ومن أجده حي البسه من ملابسي البدوية وآتي به إلى عمي ميلاد وهو يتولي الباقي مع باقي الفدائيين..
ثم هربت من منطقة الليدو إلى القنطرة غرب ...
وذهبت لمنطقة ابوخليفة واتجهت إلى مزرعة لرجل يهودي مصري كنت أعمل بها من قبل ....
فكانت تأتي القنابل تفتك بالناس فتكا ...
فكنا نجميع أشلاء الأهل والأحباء وندفنهم جماعة
في خلال شهر رحل جميع الناس من على طول خط القناة بالجهة الغربية ... ومنهم صاحب المزرعة لم يتحمل ما كان يحدث لأهله فهاجر خارج مصر لا أعرف إلى أين ذهب .
ويوم قرارنا الهجرة أنا ومن معي لم نجد مواصلات فمشينا من القنطرة غرب حتي مدينة الصالحية على الأقدام واسترحنا قليلا ثم واصلنا حتي قريتكم يا معلم عطا.
استُقبلنا هناك بكل ترحاب وطببوا أقدامنا لمدة أسبوع كامل حتي شفيت أقدامنا وقمنا للعمل .
وقام يهلل
تحيا مصر.... وجيش مصر..... وشباب مصر..... وشعب مصر
قوموا.... قوموا..... واسجدو
اشكروا الله ...
صلوا في الجوامع.. والكنائس.. اشكرو الله
فريد : اجلس يا غنام تناول العشاء معنا
غنام: أشكرك يا فريد ليس كل يوم...
فريد : إنه رزق من الله لا نعلم رزق مَنْ ؟!
غنام : جهزت بيتي تعال يا معلم عطا للمبيت عندي

عطا: أعتذر فمعي زوجتي..
غنام : أهلا بها أختي ..فوق رأسي ... بعد إذنك يا فريد
فريد: إذا استطعت أخذها من نادية لا مانع
غنام : لا استطيع أختي نادية البركة كلها
فريد: يا نادية غنام يريد أخذ المعلم عطا وأم مختار للمبيت عنده
نادية :(من الداخل) واحد يا غنام اليوم عندنا وغدا عندك
غنام : تسلمين من كل شر يا نادية
استأذن غنام وجلس فريد وعطا
فريد :هل تظن يا معلم عطا أن القنطرة ستعود كسابق عهدها
عطا: احتمال تعود لأفضل مما كانت و أحتمال ألا تعود..
وأظن الدولة ستولي اهتمام خاص بها ؛ لأنها منطقة استراتيجية
فريد : الرب يدبر الصالح.
عطا : أمين.
ثم أذن المغرب والرجال يصلون في الجامع الكبير بعد ترميمه جزئيا
فريد: الجامع الكبير قريب نعبر الشارع فقط.
عطا : ضحك وقال لن أصلي في الجامع.
فريد : إذا كنت تريد الصلاة هنا آتي بسجادة صلاة
فصمت عطا
هنا أتي محمود لأنه سمع بقدوم عطا فجاء لأخذه
فمال عليه فريد كي يخبره أن يأخذ عطا للجامع لعله محرج
ضحك محمود ومال علي فريد وهمس عطا "مسيحي"
فريد: (هامسا) ماقصة تزوجنا منكم وتزوجتم منا هذه ؟
محمود : يقصد أن هؤلاء تزوجوا من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء
فريد : لا أفهم شيئا...
محمود : اصمت الأن ولاحقا سوف أشرح لك

اجتمع الرجال وتناولوا العشاء ومنهم من نام مكانه من التعب ومنهم من غادر لمقره ومنهم من ذهب إلى قهوة المثلث ومنهم إلى قهوة أبوصلاح...
وجلس عطا و محمود على القهوة وبات عطا عند محمود بينما نامت أم مختار عند نادية واحست منها حنان الأهل والأخوات وفي الصباح أخرجت أم مختار صورة لجندي وأرتها لنادية..
أم مختار : هل رأيت هذا الجندي من قبل حيا أو ميتا ..؟!
نادية : أنا لم أرى الجميع.. أبي وأخوتي هم اللذين يعرفون..
وأبي علي سفر وسوف يعود غداً أتركي معي الصورة وسوف أريها له
كانت أم نادية قد وصلت مبكرا اليوم وتسمع الحوار
الأم : يابنتي خذي الصورة معكِ هو الأن بمكان أفضل من هنا بكثير مؤكد أن الله اصطفاه وهو الأن بجاوره.
أم مختار: يجوز أنه مازال حي في سجون العدو.
الأم : لو كان حيا كانت الحكومة المصرية ابلغتكم وكان قد عاد في أتفاقية تبادل الأسرى أطمئني يا ابنتي هو وصل بسلام .
فبكت أم مختار ...
الأم: لا تبكي عليه يا ابنتي هؤلاء نزغرد لهم.
ولا يوجد بيت في مصر إلا وله حبيب هنا
كفكفت أم مختار دمعها وقررت الموافقة على الأنتقال للعيش في القنطرة شرق .
و انتقت مكان للفيلا ... بعد استشارة نادية واشترى عطا الأرض رغم أن البلدة كلها كانت مفتوحة لوضع اليد وبني فيلا على مساحة ثلاثة أفدنة في منطقة متطرفة .
واشترى قطعة أرض بالقنطرة غرب ،
وأخذ التصاريح وأعدها لتكون صالة كبيرة لبيع لسيارات.

وعند تمام الحول عادت أم مختار وزارت الفيلا وأشارت عليه ببناء عمارتين وسط المدينة واحدة للبنات والأخرى للأستثمار...
وأرادت زيارة نادية فاخبروها بأنها وضعت طفلها الأول.
فذهبت علي الفور كي تخدم نادية في وضعها.
ومنذ دخولها الشارع فوجئت بعدد هائل من الناس . وأنوار الزينة تملأ الشارع كله
و فرقة المزمار البلدي تعزف والرجال ترقص علي الحانها والنساء تصفق تزغرد والأطفال يمرحون والفرح يملأ كل ركن في كل بيت وكل نفس .
وأكياس من السكر وكراتين من الشربات تدخل الشارع دفقات دفقات إلى بيت فريد
وصواني الشربات توزع على الجميع..
الجميع يسقي الجميع..
أول مولود بمدينة القنطرة شرق بعد التحرير..
وأسماه أباه .... ديفيد .... تيمنا بإتفاقية السلام كامب ديفيد
ديفيد فريد فكري .
دخلت أم مختار وسط ترحيب من الموجودين ودخلت لنادية تقبلها وتهنئها علي سلامتها... وطلبت المولود لتقبله ...
لم تجده كان ينتقل من حضن إلى حضن والجميع يقبله ويضع في يده مبلغ من المال
كانت المبالغ بسيطة لكنها كانت تحمل قيمة عظيمة وأخيرا وصل الطفل ديفيد إلى أم مختار
أم مختار : اسم الصليب ربنا يخلي يشبه الملائكة (وجهه مستديرا أبيض اللون أسود العنين)
ولما وجدت مجموع المبالغ ضيئلة

وضعت في يد نادية مبلغا من المال يوازي ما جمع من الجميع واعتذرت لعدم إحضار هدية لعدم معرفتها بالمولود إلا الآن....
نظرت أم مختار إلى تلك السيدة التي خدمت الجميع بمحبة تُرد لها المحبة من الجميع.
ومرت الأيام و بني عطا عمارة من أربعة طوابق وحاول عبثا أخذ تصريح بالطابق الخامس لكن السلطات رفضت برغم مكانته وقربه من رجال السلطة بالقاهرة
وكان قد خطب لابنته مبكرا حتي يحقق لزوجته أمنيتها بحضور زواج ابنتها الكبري وقبل الزفاف بعدة أيام ماتت أم مختار ..

ففسخ الخطبة و حول نشاطه من موانئ الإستيراد من الإسكندرية إلى موانئ بورسعيد ودمياط.
وتزوج من جديدة تراعي أبناءه... فتاة يتيمة من ملجأ ليس لها من يسأل عنها ....
فتش في الملاجئ فوجد صبية جميلة هادئة تحب الصوم والصلاة تزوجها على غير رغبة أهله .
وافتتح معرض السيارات بالقنطرة غرب
وأتي بأبناءه وزوجته الجديدة إلى القنطرة شرق في يوليوعام 1981
كان قد تكفل بأكثر من عشرين شابا
جاء معه منهم عشرة شبان .
اسكنهم في العمارة ووزع عليهم العمل..
من يأتي بطلبات البيت ،
ومن يسافر بورسعيد أو دمياط لاستخلاص البضائع من الجمارك،
ومن يفحص البضاعة الآتية ويقرر أهي تطابق المواصفات أم مخالفة فتعود من حيث أتت،

أو من يعدل مسار صفقة من بلدة لأخرى: فسيارات تأتي من المانيا فيعدل مسارها لجنوب افريقيا،
ومن من الشبان يسافر للتعاقد على هذه الصفات،
وقد اصطفي عطا ثلاث شبان لبناته.
وعند استقراره في القنطرة شرق زوج ابنته بعد زواجه بعام من مهندس من الذين كفلهم
وجاءت أختة أم رأفت لحضور الزفاف مع مختارة ابنتها وفوجئت أن الزفاف بالقاهرة في أرقى الفنادق.. ولم تتمكن أم رأفت من حضور الزفاف كما كانت تتمني
وعند عودة ابنته من شهر العسل أعطي لها شقة مجهزة بكافة شئ بعمارته واشترط على زوجها دفع الإيجار بموجب عقد ...
وبالطبع لم يدفع الزوج فطرده من الشقة ثم طلب الزوج الصلح فسمح له بالعودة
وجاءت مختارة ابنة أخته مع أمها أم رأفت للمرة الأولي للقنطرة شرق في يوليوعام 1982 لحضور زفاف ابنة خالها ..
اعجبت بالمدينة وتمنت أن تعيش بها حتي الممات
أعجبت بشوارعها الواسعة وكنيستها الكبيرة وشاطئ مياه قناة السويس واغرمت بالسباحة فيه
لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه
عادت إلى القرية ولم تكن تزور خالها إلا إذا وضعت زوجته أو ابنته

الفصل الثامن

أين أنت ..؟

حينما علم فتحالله بأمر ابنته سافر إلى القاهرة وأخبر أخاها ورسم ما سيكون..
وجاء سعد ونفذ ،
لم يشاهد قتل نجية الضفادع الفئران والغربان .... فقط
كان هناك رجال الكنوز..
عند انتهاء سعد من مهمته وانصرافه على عجلة.. خرج رجال الكنوز واخرجوا جثتها وأخذوها ومثلوا بها وبجنينها وفتحوا المقبرة. واستغلوا حزن أهل القرية على نجية ونقلوا محتويات المقبرة إلى بيت فتحي ثم عادوا و اضرمو النار في (عرمة الأرز: محصول الأرز) التي لفتحالله ونقلوا محتويات المقبرة إلى إحدى بيوت عطا بقليوب
واجتمع عطا وفتحي وفتحالله وبينما يتفحصون المحتويات .. فتحت المواجع ..
عطا: أحسنت يا فتحي في نقل المحتويات..
فتحالله : نعم أحسن جدا (و هو حزين).
عطا: قسم الغنائم يا فتحي...
فتحي : لم العجلة الصور طبعت وعند الرجل الكبير هو من سيقسم كالعادة ويسوّق و أنتم تأخذون أموالكم جاهزة.
عطا : نصيب فتحالله الضعف..
فتحالله : لماذا ..؟!
عطا : من أجل نجية وعرمة الأرز.

فتحالله : ماذا تقول ..؟! آه ماذا تقصد..؟!
أتقصد.. أتقصد أن هذا المعلون لعب بابنتي و هي ..و هي التي فتحت الـ الـ المقبرة..؟! آه أتقصد أن ابنتي الملكة.. الملكة.. التي احتفظت بها لأصاهر كبار القوم هنا هي التي كانت أمامي وأنا .. وأنا ..و أنا اخطو ..اخطو ..فوقها.. الملكة خطوت فوقها ...فوقها ...فوقها
ماذا تقول ..؟! آه ماذا تقول ..؟! آه
وأخذته لوثة فصار يتمرغ في تراب الأرض ويصرع ويطلم ويهذي وأخيرا خرج هائم على وجهه لا يتذكر من هو و لا ماذا حدث.
فتحي : لماذا أخبرته..؟!
عطا: كنت أظنه يعرف... و لماذا فعلت هذا به..؟!
فتحي : هو يستهين بالبشر ويصغر في عينيه ما نفعله فكان لابد أن يشرب من نفس الكأس.
عطا : و أنت متي تشربه..؟
فتحي : أشربه كل مرة. إذا طُلب أجنة عادة ما تكون لي..
و أنت لماذا أخبرته..؟!
عطا: حتي تكون القسمة على اثنين وحتي احافظ على حياتك.

فتحي : تحافظ على حياتي نعم ..القسمة على اثنين لا ، سيصل نصيب فتحالله إلى سعد.
عطا : وماذا ستقول له ؟!
فتحي : هذا عملي.
عطا: و لماذا هذه المرة تحتفظ بحق الأضحية ..؟!
البنت كانت جميلة فعلا ...خسارة ...هل أحببتها بالطبع أحببتها
فتحي : لا تذكرها مرة أخرى ... كأنها لم تكن. من يقع في غرام المساخيط لا يعرف الحب لأحد آخر.

وكل أضحية يصل إلى أهلها نصيبها عن طريق أهل الخير.
عطا : كان المفروض أن تسمي عادل
فتحي :انتهينا .. هذا أمر الرجل الكبير ، أراك مع المقبرة الجديدة ، ومختارة إياك أن تفرط فيها أو تشتري لها شيئا من مالك الخاص تحت أي ظرف.. مفهوم يا عطا.
عطا: مفهوم.
و هو يغادر
ناداه .... فتحي من هو الرجل الكبير...؟!
استدار له برأسه فقط وأجاب ..أنا للأن لا أعرفه
و أشار له بالسلام ومضي..

عادت أم السعد من واجب العزاء المقدس لتجد حريق بعرمة الأرز وأختفاء زوجها
بحثت عن زوجها الغائب..
دارت في كل القرى المجاورة و كل الناحية لم يوجد . سألت عليه حتي طير السماء و أشجار التوت و الليمون فلم يجيبها أحد.
أرسلت تلغرافا إلى سعد بالقاهرة و إلى صالح بأمريكا و طار الخبر إلى كل البلاد المجاورة وغير المجاورة.. و لم يشاهده أحد و لم يعرف به أحد.
سعد كره أبيه منذ أن أجبره على قتل أخته نجية ...لكن لابد من الظهور أمام الناس "الطبيب البار بأبيه" ... توا تخرج من كلية الطب وقبل أن يمسك مشرط و يمارس الجراحة كما تمني طوال حياته أصبح لا يطيق رؤية الدم و لا اللون الأحمر..
سعد غير إقامته من شقة صغيرة في منطقة الجيزة إلى شقة كبيرة في مصر الجديدة في شارع الميرغني و افتتح عيادة في منطقة شبرا الخيمة ..

و لم يمر أسبوعين على فتح العيادة حتي ذاع صيته..
الدكتور سعد فتحالله "باطنة وقلب"..
أختار مكان لعيادتة ليخدم الفقراء لعل الله يغفر له .
وصلت أمه إلى شقته القديمة في شارع بين السرايات بالجيزة واستقبالها الجيران بحفاوة وأعطوها مفتاح الشقة فدخلت .. واتصلوا به هاتفيا فأتي على الفور...
قبل يدها و نزلا معا و ركبا سيارة جديدة... لونها أسود ..
لم تسأله سيارة من هذه ..؟!
و لم تسأله إلى أين.. ظنت أنه استعار السيارة وسوف يذهب لأقسام الشرطة والمشافي يسأل عن أبيه.
قضيا بالسيارة وقتا طويلا الشوارع المزدحمة تارة و الخالية تارة أخرى.. وعبرا النيل و هي تتعجب كل هذه المناطق ليس بها أقسام شرطة أو مشافي..!!
أخيرا وقف السيارة في شارع واسع ونظيف وهادئ.. وركن السيارة ونزل منها وفتح الباب لتنزل ..نزلت ونظرت المباني الراقية جدا..و هي تتأمل في المكان وجماله وهدوءه .. فوجئت أنه أحضر حقيبتها معه.. وبواب عمارة يجري نحوهما ويمسك بالحقيبة من سعد قائلا ...
البواب: حمدا لله على السلامة يا دكتور.
سعد : الله يسلمك.. هل جهزت المطلوب....؟
البواب : نعم جميع ما أمرت به ..البنت ابنتي في الشقة تجهزها.
سعد: (☹غاضب) أخبرتك من قبل لا ترسل لا ابنتك و لا زوجتك.
البواب :حاضر يا دكتور.
وصلا باب المصعد (الاسانسير) دخل سعد و أدخل أمه والبواب و أغلق الباب

ضرب على اللوحة رقم (11).. أرتفع المصعد (الاسانسير) ثم وقف ..فتح الباب وخرج هو وأمه وأخذ الحقيبة من البواب ونزل البواب مع المصعد (الاسانسير)
وصل باب الشقة ورن الجرس ففتحت صبية في مقتبل العمر ..
سعد: هيا إلى أبيكي و لا تأتي هنا مرة أخرى.
البنت : حاضر يا دكتور ، حمد الله على السلامة يا هانم.
أم السعد : الله يسلمك يا ابنتي.
سعد : أدخلي أدخلي يا أمي ..تفضلي أنرتي بيتكِ.
دخلت أم السعد إذ بشقة تشبة القصور
بهو واسع وبه صالون للضيافة بركن والركن الأخر به مائدة كاملة يفصل بينهما الستائر .
وخمس حجرات ، كل حجرة مطلية بلون غير الآخر ومازلت رائحة الطلاء تملأ المكان وكل منها بها حجرة نوم وكل حجرة بها مجموعة مختلفة من الكتب... وسجاجيد فخمة في كل مكان منها الحرير الهندي ونجف في البهو كريستال حر ...
وتحف بكل مكان منها تماثيل ذهبية وحجرية
ومزهريات بها ورد طبيعي

و مطبخ كبير وثلاث حمامات...
وبالمطبخ براد وموقد جديد يعمل بالغاز
والحمّام الأساسي واسع و به مغطس .
هي بالفعل قصر
طلت أم السعد من أحد الشبابيك لتجد نفسها بالدورالحادي عشر.
أم السعد : سعد أنا لا أتذكر أنني صعدت سلم .
سعد: ركبنا المصعد (الاسانسير).
أم السعد: و ما هو "الاسانسيه" هذا ..حجرة المرايا..؟!

سعد: نعم
أم السعد : كم إيجار هذه الشقة..؟!
سعد: إنها مِلك .
أم السعد : ومتي اشتريتها لم يخبرني فتحالله بها.
سعد : هو الذي اشترى عمي فتحي قال لي هذا...
أم السعد : فتحي !! ..فتحي مَنْ؟
سعد : عمي فتحي صديقه .
أم السعد : (سرا) فتحي الخاين النجس ..؟!
سعد: جاء إليّ عمي فتحي منذ شهر مضي وقال لي أن فتحالله كان معه هذا المبلغ الكبير هدية تخرجك وخفت عليه من اللصوص فأخذته منه وسبقته إليك ، سيشتري مجموعة غلال ويشحنها للقرية ويأتي إليك.. وها عقود السيارة والشقة والعيادة وقعها ، فوقعتها وأعطاني المبلغ الموجود بالخزينة.
أم السعد : و هل يوجد مبلغ ..؟!
سعد: نعم معادل لثمن السيارة والعيادة والشقة و ربما يزيد.
أم السعد: ما هذه الحيرة..!! متي سننزل نبلغ عن اختفاء أبيك..؟!
سعد : أبلغت يا أمي منذ (تلغرافك) الأول بعد مجئ فتحي بعشرة أيام
لم أترك قسم شرطة أو مشفي إلا وسألت..
الطعام معد وساخن .. هيا نأكل ونستريح ونرتب أوراقنا ونعرف شمالنا من يميننا...
تناولا الطعام و استاذن من أمه وذهب للعيادة وعاد بعد منتصف الليل.
سعد : مساء الخير يا أمي .
أم السعد : مساء الخير يا ولدي .
سعد : أسف للتأخير.

أم السعد: لا عليك ..الوفاء للعمل أمر واجب.
سعد : هل تناولتِ العشاء..؟
أم السعد : لا ..في انتظار عودتك.
سعد : هيا لنأكل...
أم السعد : هيا يا ولدي ..؟
سعد: لماذا لا تأكلين يا أمي..؟!
أم السعد : هل نسيت عادتنا .. ؟! لا نأكل شئ بعد العِشاء ..
سعد : أسف يا أمي غدا لن أنسي..
أم السعد : لا عليك يا ولدي.
سعد : (يقبل يدها) تصبحين على خير.
أم السعد : و أنت من أهل الخير أكمل طعامك..
سعد: ليس لي شهية.
في الصباح وجد سعد الفطور معد على المائدة .
سعد : صباح الخير يا أمي .
أم السعد : صباح الخير يا ولدي..
تناول وجبة الفطور وغير ملابسه وشرب كوب الشاي و همّ بالنزول
أم السعد : ألن نتحدث يا ولدي..
سعد: أمي.. أمي .. لقد كرهت هذا الرجل .
جعلني أقتل أختي وأنا الطبيب ...عوض من أن أعطيها الحياة أهديتها الموت.
نظراتها تفتك بقلبي فتكا، وصورتها و هي جاسية على ركبتيها لم تبرح خيالي.. وحضنها الدافئ مازال دفئة يسري بجسدي(وهو يتحسس كتفيه بكلتا يديه)..
قتلتها بيديّ وبكل حرفية (وهو يقلب كفيه وينظر لهما).
تعلمت الطب لأنقذ الأرواح و أول استخدامي له قتلت أختي..

لماذا فعل بي هذا...؟!
أم السعد : أصمت للحطان آذان ، و ليس الوقت وقت عتاب يا سعد الوقت وقت برّ
سعد : لا يستحق البرّ .
أم السعد : لا تنسي إنه سبب نعمتك.. و وجبت عليك طاعته.
سعد: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
أم السعد: هذه عادتنا ..
سعد : السيد المسيح لم يقل هذا..
أم السعد: دع السيد المسيح جانبا الآن..
السعد : إذا كنت أدق صليبه على يدي فكيف أدعه.
أم السعد : السيد المسيح لا يعيش معنا..
سعد : حقا لا يعيش معنا لو كان... ما كان .
كان ينبغي أن يعيش معنا..
"من منكم بلا خطية فليرمها بأول حجر"
أين كان عقلي...؟!
أم السعد :انتهينا من هذا الموضوع.
سعد : لا.. لم ننتهِ ولن ننتهي .. دمها مازال في يدي.
أم السعد : الن تبحث عن أبيك...؟!
سعد : فتحالله لم تعد لي علاقة به.
أم السعد : و لماذا أخذت النقود..؟!
سعد : النقود بكاملها هنا استحيت أن ألوث سمعته عند عمي فتحي فأخذتها .
لن تلزمني الشقة بعد الآن و لا السيارة و لا عيادة مصر الجديدة و لا النقود
تعالي لنعيش بالشقة القديمة.. أو نسكن بشقة بجوار العيادة بشبرا الخيمة

أم السعد : أبوك برئ يا ولدي..أنا من خطط ودبر.
سعد : أنتِ ..!!! أنتِ...!!!.. و لماذا ... ؟!
من الآن صرت لطيم ...ها مفاتيح كل شئ.
أم السعد : و لماذا يا ولدي..؟!
لا اريد شئ
فقط أعرف من الذي دنس أختي
أم السعد : لماذا ...؟!
سعد : أتسألين لماذا ؟! ألا تعرفين.. ؟!!
أم السعد: الرجل سيف يا ولدي أينما ذهب يطلب أن ينجلي.
سعد : ولماذا دونت قصة يوسف النبي ...؟!
اليس لإدانة كل رجل نظر إلى امرأة ليست له.
وتركها ومضي..
ترك كل شئ .
مسح دموعه وغسل وجهه ومضي.
لم يستخدم المصعد ..قابله البواب على السلم
البواب : صباح الخير دكتور.
سعد : صباح النور.
من فضلك أذهب للهانم وكن طوع يدها.
البواب:أمرك دكتور.
صعد البواب ورن جرس الباب ففتحت له أم السعد.
البواب : صباح الخير يا هانم.
أم السعد : صباح النور عليك.
البواب : الدكتور أمر أن أكون طوع يدك..
أم السعد : أستدعي لي سيارة لأعود للقرية وأخبرني ما هو العنوان هنا.
البواب : أمرك يا هانم. العنوان هنا مصر الجديد شارع الميرغني

ونزل البواب و أتي بسيارة أجرة و صعد لها و أخبرها أن السيارة موجودة
خرجت من الشقة و أمرته باستدعاء المصعد فاستدعاه
البواب : أين الحقيبة يا هانم..؟
أم السعد : أي حقيبة..!
البواب :حقيبتك .
أم السعد : لا تسأل عما لا يعنيك.
البواب : حاضر يا هانم.
كانا قد وصلا للدور الأرضي.
فتح لها بابا المصعد ثم أوصده ثانية بعدما خرجت..
نزلا عدة درجات لتجد سيارة أجرة
اركبها السيارة وهم يركب بجوار السائق ..
أم السعد : لا تتعب نفسك أعرف طريقي جيدا.
البواب : لا يصح يا هانم هذا أمر الدكتور سعد.
أم السعد : لا عليك سبع سنوات أزور القاهرة . وأمرت السائق بالانطلاق...
البواب : صاحبتك السلامة يا هانم ..

وأنطلقت السيارة ...
وعادت أم السعد إلى القرية بدلا من أن تجد الذي غاب فقدت الحاضر..
العيد على الأبواب حضرت العيد وأخبرت الجميع بسفر سعد لأخيه صالح. و بعد العيد بثلاثة أيام أخبرت أهل القرية بأنها ستعيش بالقاهرة لتتابع الوضع عن قرب ..
لملمت ما لها وسلمت الأطيان والبيت لأحدهم وأخذت الثلاث بنات وذهبت لتعيش بالقاهرة في تلك العمارة الشاهقة..
وعند وصولها القاهرة ..ذهبت إلى الشقة القديمة بالجيزة ..باتت أول ليلة واستراحت .
أما سعد بعدما ترك كل شئ ذهب للشقة القديمة وغير عيادة شبرا الخيمة بأخرى بالمطرية وكان ينام بالعيادة وحينما أتصل الجيران به وأخبروه بأن أمه وأخواته حضروا من القرية أبلغهم أن طيارته ستقلع بعد ثلاث ساعات إلى الخارج لحضور مؤتمر طبي مهم وإنه سيعود بعد أسبوع . و اوصي من يعملون معه إذا اتصل هؤلاء الجيران أو أمه يقولون إنه مازال على سفر .
نزلت أم السعد في اليوم التالي وسألت سرا عن سمسار شقق مفروشة.. واستاجرت شقة لمدة ثلاث شهور بمدنية نصر.
وتركت الشقة القديمة بالجيزة بحجة أنها ستسافر وتعاود عند عودة سعد وانهت عقد الشقة و انتقلت بالبنات للشقة المفروشة .
ثم ذهبت إلى أرقي محلات القاهرة في منطقة روكسي واشترت فساتين وأحذية و ما شابه ، و أتت بمعلمين (أتيكيت) للبنات ولها .. وذهبت بهم إلى صالونات التجميل المشهورة لتحولهن من بنات ريفيات إلى هوانم من جاردستي..و هي معهن وأصبح اسمها أم السعد هانم حيث إنه اسمها الحقيقي.. تبدلت صورتها وأصبحت تشبه

الفنانه أمنية رزق في فيلم أين عمري .. لكن احتفظت بمضمونها في سلوك السيدات الريفيات ووفائها بعهدها لزوجها..
.كانت تود أن تحقق حلم فتحالله بمصاهرة عِلية القوم بالقاهرة ،
كانت تنام الليل تنادي عليه بدل الفتاة ثلاث ...عد إليّ....
و عبثا حاولت إصلاح ما أفسدته مع سعد .
ما بين العيدين البنات تحولن من حال إلى حال ، و أصبحن هوانم بمعني الكلمة .
حينئذ أنتقلن إلى الشقة الجديدة .
حينما وصلوا إلى الشقة الجديدة وجدت كل منهن حجرة حسب هواها .. وبها نوعية الكتب التي تحب قرائتها وكل تفاصيل الحجرة كأنها هي التي اختارتها واسستها
واجتمعت البنات ليحتالوا على أخاهم..
بحثوا في الدليل عن رقم هاتف عيادة باسم دكتور سعد فتحالله اتصلوا تليفونيا بالعيادة وطلبوا العنوان للكشف وحجزوا باسم وهمي وحددوا ميعاد ليلة عيد القيامة المجيد بحجة أنهن على سفر والمريضة تعبة جدا..
وانتظر سعد تلك المريضة ليلة العيد ونام على مكتبة من التعب
الممرض : دكتور يبدو أن هذه المريضة لن تأتي..
سعد : أنا انتظر شخص آخر..
الممرض : من يا دكتور..؟!
سعد : ليس شأنك.
الممرض : حتي إذا جاء أدخله.
سعد : حسنا ثلاث بنات شقراوات.
الممرض : يبدو أنهن وصلوا.

خرج من حجرة الكشف و أغلق الباب ليجد ثلاث بنات شقراوات أجمل من نجمات السينما و أرق من نسيم الصيف ويغلبن عارضيات الازياء في مشيتهن وأناقتهن .. تنظرن بتعجب لكل شئ في المكان تقدمت واحدة منهن فكاد أن يثمل الممرض من رائحة عطرها .
بهية : من فضلك نريد ...
الممرض : الدكتور في انتظاركن يا هوانم.
بهية: في انتظار من ..؟!
الممرض: أنتن الثلاث يا هانم ؟
صفية : ومن قال له أننا ثلاث..؟!
الممرض :دكتور سعد في انتظاركن وقد أمر بإدخالكن فور وصولكن.
وبينما هن في تعجب
فتح سعد باب حجرة الكشف فجرين جميعهن عليه قبل أن يخرج و أغلق الباب ..
وبعد فترة .. طرق الممرض الباب ليسأل الضيفات ماذا يشربن فلم يسمعه أحد ...
فتح الباب وإذ بالثلاث فتيات مَنْ تجلس على رجليه ومَنْ تقبل رأسه و مَنْ تحتضنه...
اشمئز الممرض وظن السوء وتمتم.. " الذي تظنه موسى يكون فرعون- الذي تظنه موسى يكون فرعون ".. وذهب إلى بيته حزينا مكتئبا

ومرت السنوات وتزوجت الفتيات وكانت تأتي كلا منهن حسب وقتها وحاولت بهية الصلح بينه وبين أمه لكن هيهيات.
كان شرطه أن تخبره بمن الذي نجس أخته و ما سبب عدم اللأفصاح عنه..؟!!

مرت ست سنوات والممرض يظن السوء في سعد..
ويحدث نفسه.. هذا الرجل كامل في كل شئ ما عدا موضوع الشقراوات..
وذات مرة أتت إحداهن تصطحب طفلا صغيرا..
كان الممرض قد غادر المكان بناء على أمر سعد ... فوجد مارية تنزل من سيارة فارهة و تصطحب طفلا صغيرا فرجع مسرعا واختبأ في حجرة تغير الملابس ليراقب .. وكان يتسأل حزينا هل وصل الدكتور إلى هذا الحد مع تلك الفاسقة الفاجرة التي لا تراعي الله ..كان يكتم غيظا وقرر الانسحاب نهائيا من عند هذا الفاجر
دخلت مارية وانتظرت حتي تأكدت من خلوا المكان فاغلقت باب العيادة في اللحظة التي فتح فيها سعد باب حجرة الكشف ليجري الصغير إليه .... قائلا خالي سعد.
فيقابله سعد بالأحضان والفرح ..
وتجري مارية إليه ليترك الصغير ويحتضنها هي حضنا كبيرا ويبكي متسائلا كيف حالك حبيبتي ...؟!
هل أنتِ بخير..؟! وزوجك بخير..؟! فتجيب نعم .
سعد : كنت أود حضور زفافك ولكني رأيتك من بعيد
وكنت بنفس الفندق الذي قضيت به شهر العسل وتوا آت
مارية : كيف لم الحظك هناك..؟
سعد : الفرح ...آدام الله الفرح بقلبك إلى منتهي الأعوام يا حبيبتي و أخذها تحت إبطه والصغير على الكتف الآخر ،
وقال للصغير وأنت كيف حال أمك وأبيك يجيب الطفل: بخير فيكمل سعد :وهذا السر الكبير الذي بيبننا يا سعد لن تقوله لأحد اتفقنا فيومئ الطفل برأسه للموافقة.
ثم دخل بهما حجرة الكشف..
يخرج الممرض من حجرة تغير الملابس ويسرع إلى بيته صامت.

و في قلبه ألف لوم ولوم لنفسه ..
كيف لم استطع ربط مشاعر الحب والشوق المتساوي للثلاث..؟!
كيف لم أفهم دموع الدكتور في كل مرة بعد مغادرة إحداهن ...لمدة ست سنوات..؟!
كيف لم أميز مشاعر الأخوة من مشاعر الشهوة..؟! يا لا غبائي.
ومن شدة ندمه أصيب بحمي شديدة فيأتي سعد إليه فيقوم ويقبّل يده ويقول سامحني يا دكتور ..
يقبل الطبيب يد ممرضه ويقول له أنت أبر مني ...
ويتعافي الممرض ويعود لعمله وحينما تأتي إحداهن يجري ليفرح قلب طبيبه.
و مع محاولا ت بهية خلال السنوات الست تنجح في انتزع أعتراف من أمها بمن يكون..
وتذهب إلى سعد وتخبره إنه اللئيم فتحي..

الفصل التاسع
أين العدل

وأرسل سعد إلى فتحي
فجاء إليه
فتحي: خيرا يا دكتور..
سعد : ومن أين يأتي الخير ..؟!
أين فت.. فتشت عن أبي..؟!
فتحي : في كل الأماكن الممكنة وغير الممكنة أما زلت تتذكر ..ست سنوات مرت ... ماتت ناس وخلقت ناس..
سعد : أنت أخر شخص كنت معه أين هو ..؟!
فتحي : لا أعرف... و ما الذي ذكّرك الآن ؟!
سعد : لم أنسه إنه ...إنه.. أبي.
فتحي : لم تأخذ شئ من اللحظة الأولي وحرمت عليك أمك .. أخبرني بالحقيقة ماذا تريد..؟
سعد : ومن أعلمك ...؟!
فتحي : لي زيارة لأمك.. عفوا لأم السعد هانم كل ثلاث شهور وتحكي لي كل شئ..
سعد : ماذا تقول..؟!
فتحي : كان بيني وبين أبيك مصالح ..و أم السعد هانم التي تديرها الآن
سعد: عن أي مصالح تتحدث ..؟!
فتحي : أذهب إليها اسألها ..!

وللعلم أنا من زوج البنات الثلاث بحسب رغبة فتحالله الله يرحمه إذا كان متيا أو حيا الرحمة تجوز له على أي حال..
سعد : أعلم أنني سوف أنتقم منك لمقتل نجية.
فتحي : (بهدوء أعصاب رتيب) و هل أنا الذي قتلتها..؟!ا
سعد : لا ... أنت السبب.
فتحي : حاذر لنفسك دكتور.
خرج فتحي غاضبا و مال على أحد رجال الكنوز واسمه عصام ويعمل محامي تحت التمرين في مكتب محاماة كبير ليكتب خطاب لقسم الشرطة الخاص بالقرية يقول فيه أن سعد قتل أخته نجية منذ ست سنوات.
وأرسله بالبريد من القاهرة.. ووصل الخطاب للقسم .. وأتخذ رجال الشرطة الأجراءات وابلغوا قسم شرطة المطرية وذهب رجال قسم شرطة المطرية وأخذوه من عيادتة من وسط مرضاه.. وسافر إلى بلدته مكبل بالجنازير ودموعة تسيل أنهارا..
وصل إلى قسم شرطة القرية والقرية كلها اهتزت لقدومه .. القسم قديم ككل شئ في الناحية.. وحيطانه بالية مثل عقول بعض البشر ..
الضابط الجديد في شوق ليحل لغز القضية.. ورئيس المباحث يتهكم عليه ..و مع إلحاح الضابط أعطاه القضية.
أحضر سعد إلى مكتبه شبه المفتوح دائما..
الضابط: اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك.
سعد : سعد فتحالله جابر.
السن:32 سنة
العنوان : منزل فتحالله جابر الكائن بأطيان فتحالله جابر.
الوظيفة : طبيب بشري " باطنة وقلب"
الضابط : هب واقفا .. طبيب..؟!
سعد : ... نعم

الضابط : (تمالك نفسه وجلس) ولماذ قتلت أختك..؟
سعد : (بأنزعاج) أختي مَنْ .. هل قُتلت لي أخت مَنْ فيهن أخبرني..
الضابط : أختك مستورة فتحالله جابر المعروفة باسم نجية.
سعد : ليس لي أخوات بهذا الاسم ..المستورات كثيرات والناجيات أيضا كثيرات أبحث عن من تخصه هذه لا تخصني.
الضابط : ولكن شهادة الميلاد أمامي...
مستورة فتحالله جابر مولودة بناحية كذا و في 1/1/ 1962بما معناه انها ستكمل عامها العشرين بعد خمسين يوم .
سعد : آه ..تقصد بهية .
ضابط : لا نجية.
بهية شهادة ميلادها أمامي أيضا هنا مولودة في 1962/10/10 أي في نفس العام.
سعد : بهية هي مستورة
الضابط : كيف هذا ..؟!
سعد: خالي سجل بهية باسم مستورة في سجل المواليد يوم ولدت ؛ لأن أبي كان على سفر بالصعيد وأنا أتذكر كنت بالصف السادس الأبتدائي حينها و لم يحضر أبي معنا عيد الميلاد المجيد في تلك السنة وظل خالي مع أمي إلى أن عاد أبي من السفر بعد العيد حضر خالي السابع للمولودة ثم سافر إلى محافظة المنوفية وأبي لم يسأل خالي وخالي لم يبلغ أبي فسجلها أبي مرة أخرى باسم بهية .ونحن نناديها بهية
وخالي توفاه الله وأبي مفقود...
و لماذا استمر هذا الخطأ كل هذه الاعوام...؟
سعد : من أجل التموين.
الضابط : كل هذا المال والجاه وفتحالله يبحث عن تموين الحكومة
سعد: للأسف نعم.

الضابط لا تتذاكي على دكتور مادمت انا هنا العدالة سوف تأخذ مجارها ...
سعد : وأنا تحت أمر العدالة
الضابط...
يا عسكري
العسكري :نعم يا افندم
الضابط : هل جهزت القوة
العسكري: نعم يا افندم ...
الضابط : هيا إلى المدافن لنأتي بالجثة إلى الدكتور دليل إدانته
ركبوا سيارة الشرطة ومازال الدكتور سعد مكبل بالجنزير
مكنس الرأس
صلي سعد...
"آه يارب أنا أعلم أنك طويل الروح وكثير الرحمة وإنك طيب للذي يترجونك وتستر بستر خيمتك..
وأعرف أن ذنبي اكبر من يغتفر ..
لكني وقعت في يدك لتقبل توتبي وتسترني ..
يارب يا محب البشر أعن ضعفي ...
وانا لست مستحقا أن ادعي لك ابنا بفجري وخطيتي...
اقبلني إليك كما قبلت اللص القاتل و بطرس الناكر واغسطينوس الزاني...
اقبل توبتي كما قبلت توبة موسى الأسود...
استرني يارب
استرني من فضلك استرني استرني استرني استرني استرني
وصلت القوة إلى المدافن والضابط الجديد كله اعتزاز بالنفس

فرغم وجوده حديثا إلا إنه تقرب من (الغفر) وأقروا فعلا بوجود نجية ووصفوا له جمالها الطاغي .. رغم إنكار أهل القرية جميعهم
وتجمع أهل القرية عند سماع صفارة سيارة الشرطة
وجاء الضابط ....
حسب الإخبارية احفر هنا ...
سعد يجلس على ركبتيه كما كانت تجلس نجية وفي نفس المكان .
ليتها طلبت العفو .. كنت البسهتا ملبس الرجال وهربت بها ..
سيجدون بقايا الجثة ويعرفون بإنها كانت حبلى ..
وانتظر الطبيب والعساكر تحفر وتحفر وتحفر ...
يا فندم لا يوجد جثث وهذه الكمية الكبيرة من الزلط لتثبيت المدفن لئلا ينهار بالترعة المجاروه
الضابط: احفرو في مكان أخر...
وأخر... وأخر ... حتي تجدوا الجثة
سعد : (سرا) من أخذها ... ؟!

الناس : كفاك حفر سوف تنتهك حرمة أمواتنا
الضابط : فك الجنزير من يد سعد
متأسفون دكتور هذا عملنا وقد جاء بلاغ فيك وبعنوانك بالقاهرة
سعد : لا عليك..
وعندما ترك الضابط سعد وإذا بخمس نساء تجري نحوه ويرتمين في حضنه
الضابط : (السيارة تترك من المكان و ينظر إلى سعد في المرآة)..
من هن..؟
العسكري :أخواته البنات وبناتهن ..
الضابط : عد مرة أخرى

العسكري: يا أفندم كفانا من هذه القضية سوف تبدأ المشكلات في القرية بسببها .
الضابط : قلت لك عد .
عاد العسكري بسيارة الشرطة :
نظر سعد إلى الضابط
الضابط : تقبل أسفنا مرة أخرى دكتور سعد
سعد : لا عليك
الضابط : هل يمكنني استشارتك استشارة طبية
سعد: نعم بالتأكيد
هنا انصرف جميع الناس وأشار سعد لأخواتة أن يذهبن لبيت أبيهن ويعدن الطعام وما شابهه.
وتمشي الطبيب والضابط
سعد: قل ما شت لا يوجد أحد هنا ...
الضابط : لا تظن إنك ستفلت بفعلتك..
أعرف بأمر أبيك ولعنة الفراعنة التي مسته بسبب فتح القبور مع فتحي وعطا...
وأعرف بأمر أمك أم السعد هانم التي أكملت مشوار أبيك مع فتحي وأعدك إنك لن تفلت من يدي وربما تكون أنت من يستخلص الأعضاء إذا طلبت أعضاء معينه لفتح المقابر ..
سعد من هول ما سمع سقط أرضا مغشيا عليه...

تمت
إلى لقاء بالجزء الرابع

المؤلفة فى سطور

- ولدت بمحافظة الشرقية عام 1973

- حصلت علي بكالوريوس تكنولوجيا تعليم وتربية عام1995

- عملت بوزارة التربية والتعليم وتدرجت من أخصائي تكنولوجيا تعليم إلي رئيس قسم تطوير تكنولوجي بإدارة القنطرة شرق التعليمية - محافظة الإسماعيلية

صدر لها : ديوان شعراء في بحر النغم (ديوان مشترك)

صديقتى تسعة (الجزء الأول-الجزء الثاني)

لها تحت الطبع : مؤلفات كثيرة

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 2

الباب الأول

الفصل الأ ول 3
الفصل الثانى 5
الفصل الثالث 7
الفصل الرابع 16
الفصل الخامس 24
الفصل السادس 27
الفصل الثامن 50
الفصل التاسع 57

الباب الثانى

الفصل الأول 63
الفصل الثانى 67
الفصل الثالث 72
الفصل الرابع 78

الفصل الخامس 84
الفصل السادس 90
الفصل السابع 92
الفصل الثامن 115
الفصل التاسع 130
المؤلفة فى سطور 136
محتوى الكتاب 137